

ليزا

مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر والتوزيع



رئيس مجلس الإدارة

عماد سالم

المدير العام

أحمد فؤاد الهادي

مدير الإنتاج

أحمد عبد الحليم

الطبعة الأولى

الكتاب : ليزا

المؤلف : عماد سالم

تصنيف الكتاب : رواية

تصميم وإخراج : أحمد عبد الحليم

المقاس ٢٠ × ١٤

رقم الإيداع : ٢٠١٦ / ١٥٨٤٥

الترقيم الدولي : 8 - 261 - 776 - 977 - 978

العنوان : المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت - محطة المطبعة شارع الملك فيصل - الجيزة

التليفون : ٠١٢٢٩٣٠٠٢٩ - ٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢

Email : yastoron@gmail.com

موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

روایق

لیزا

عماد سالم

إهداء

إلى زوجتي الحبيبة حنان حسن ..

إلى أبنائي سمر ومصطفى وسلمى ورناء .. شركاء
الرحلة ..

أعرف أنى أرهقتكم بعصبيتى وقلقى وتوترى
فأشكركم على صبركم النبيل ، وأهدى إليكم نتاج
التوتر الذى عشنا فيه معاً طوال فترة كتابة هذه
الرواية ، وأتمنى أن يكون نجاحها هو أكبر اعتذار ..

عماد

٢٠ أغسطس ٢٠١٦



مفتح

تدور أحداث هذه الرواية بمنطقتي إمبابة والمهندسين فى مصر أواخر عام ١٩٨٢، وتمتد حتى الآن، وعلى الرغم من أن الأحداث خيالية إلا أن معظم شخصياتها واقعية وتعيش بيننا، وقد استخدمت اللغة العربية الفصحى فى السرد، ولكنى فى الحوار قررت أن أستخدم العامية المصرية، بحيث تعبر كل شخصية عن مستواها الاجتماعى وثقافتها وتظهر ملامحها حين تتكلم، وقد اعتمدت على هذه الفكرة فى رسم الشخصيات .

وقد كان لكتاب «حياة الصحابة» للعلامة «محمد يوسف الكاندهلوى» الأثر الكبير، فهو الباب الذى دخلت منه للتعرف على جماعة «التبليغ والدعوة» التى تحتل تجربتها مكان الصدارة على مسرح أحداث هذا العمل الروائى، كما أشكر المحقق الدكتور محمد بكر إسماعيل الذى بفضلته تعرفت على سلوك المبلغين وحياتهم وطقوسهم .

المؤلف

سور الصنائع

أكوام من القمامة تكتم أنفاس السور الخلفى لمدرسة
إمبابة الصناعية، وسور الصنائع يستغيث كلما ألقى سكان
المنطقة نفاياتهم فى وجهه. العشوائية تحطم كل شئ هنا،
بحر الشارع لايزيد بحال من الأحوال عن أربعة أمتار،
الشوارع ضيقة جداً، والأخلاق والمنازل والشقق والأفق
والأحلام ضيقة، كل شئ هنا يتسم بالضيق .

كل الوجوه تشبه بعضها البعض، نفس الملامح، وكأن
كل قاطنى هذه المنطقة قد جاءوا من رحم واحد، رحم
الفقر الذى تحكم فيهم وفى سلوكهم ومشاعرهم حتى صاروا
نسخاً متطابقة لشخص فقير محطم.

البيوت الضيقة تتحمل ساكنيها أثناء الليل على مضض،
ولكنها بمجرد شروق الشمس تطرد الجميع، تطرد الأطفال
فى الشوارع حفاة غير عابئين بالزجاج المتناثر فى الطرقات،
وقد يضطر قليل منهم إلى أن يلبس حذاءً يمكنه من الركल
والجرى وراء السيارات ومحاولة الركوب فوقها أثناء السير
ثم القفز منها .

يفر الشباب من منازلهم، فيحتل كل واحد منهم مكانه على نفس الكرسي الذى تركه بالأمس عند منتصف الليل على قهوة (وزة) مع العمال الذين يعملون باليومية التى لا تكفى لطعام يوم واحد، ينتظرون سيارة المقاول ويتكالبون عليها كى يأخذهم للعمل، قد تأتى وقد لا تأتى، يلعبون (الدومينو) على القهوة والويل كل الويل لمن يخسر؛ لأنه سيدفع الحساب .

النساء يجلسن فى الشارع أمام منازلهن، كل منزل أمامه حجر تعتبره النساء مقراً إضافياً لغسيل المواعين فى إناء مصنوع من البلاستيك بعدما اضطرتهم ظروف الحياة إلى بيع النحاس، ولم يعد فى مقدورهم شراء الألومنيوم .

قهوة (وزة) صغيرة، فهى عبارة عن محل صغير مترين فى ثلاثة أمتار، إلا أنها احتلت بكراسيها الكثيرة الشارع كله وقطعة الأرض المقابلة للقهوة، فبدت كبيرة جداً، تستوعب العشرات من الزبائن .

سور الصنايع يشبه سور سجن مفتوح من اتجاه واحد فرض سطوته على السكان، لا يستطيع أى ساكن هنا أن يدخل بيته أو يخرج منه دون أن يمر بجوار السور الذى فرض اسمه على المنطقة كلها فصارت منطقة «سور الصنايع» .

الناس هنا يكرهون الحكومة ويعتقدون أن ذنوبهم التى ارتكبوها فى حياتهم، هم وآباؤهم، قد سلطت عليهم هؤلاء

الأوغاد أمناء الشرطة المتحكمين فى قسم إمبابة بمن فيه ،
وفى المنطقة بما فيها من شجر وحجر وبشر، أمناء الشرطة
هنا هم الحكومة التى إذا رضيت عن أحد كان محمياً مباحياً
بهذه الحماية بين جيرانه ، حتى أنه يضع هذه الحماية
فى جمل غير مفيدة فى أى حوار مع الآخرين، المهم أن
يعرف الناس أنه مرضيٌ عنه من الحكومة .

الشباب هنا مقهور يشعر دائماً بأنه خارج الحياة،
فيحاول جاهداً الدخول فيها بعنف، فيبدو عليه التطرف
دائماً، إذا شجع فريق كرة قدم ينتمى له بجنون لدرجة أنه
قد يقتل مشجعى الفريق المنافس لأتفه الأسباب، وإذا عشق
فإنه يعشق بجنون وتطرف أيضاً، فيبذل أكثر مما يطيق كي
يصل إلى محبوبه ، فإن لم يصل كره من يحب بشكلٍ عنيف
لأنه لم يبادل هذا الحب .

كل الشباب هنا فى تنافس دائم، يتبارون فى كل
شئ: الدومينو واللعب (على المشاريب) التى قد تصل
إلى عشرات الجنيهات، وفى الأفراح يصل التنافس إلى
منتهاه، تقام الأفراح فى الشارع، فيغلق سور الصنايع،
وتعلق الميكروفونات على مناشر الشقق، كل مجموعة فى
الفرح تلتف حول طاولة عليها البيرة وأحجار المعسل المدموغ
بالحشيش، وكلما زاد حجم الطاولة وعدد الزجاجات زاد
فخر الجالسين حولها، فهذا دليل على الثراء والعظمة،
وإذا رأيت أحدهم وهو (ينقط) فى الفرحة تعتقد أنه من

أغنى أغنياء المنطقة، ولكنه فى الحقيقة بائس، محطم، يبحث عن مجد ونجاح حتى لو ليوم واحد فقط ليصير معروفاً، ويكفيه أن يردد اسمه فى الميكروفونات فيسمعه كل الحاضرين فى الفرع، ومن يسيطر على المسرح يكون دائماً حديث الناس لأسابيع قادمة، ف (النباطشى) هنا أهم من المطرب، وذكر أسماء الحضور أهم من الغناء، والنباطشى عليه أن يحيى الناس فرداً فرداً، وإذا نسى اسم شخص من نجوم الفرع الحاضرين فويل له مما سيلاقه بعد الفرع .

الشباب هنا يتنافسون فى كل شئ، حتى التدين الظاهرى، فيتنازعون داخل المساجد على إقامة الصلاة، ويختلفون على من يؤذن، ومن يؤم الناس، وإذا صلى أحدهم أسبوعاً متواصلاً، يعتقد أن هذا كاف للفتوى فى كل شئ .

بعض الشباب هنا يخنقه المكان، ويشعر بأنه جاء هنا خطأ، فهو لا يستطيع أن يتنافس أو أن يتكيف مع هذا الواقع، فينطوى كأنه من الأقليات، يفر إلى الله، يحتمى به، ويجلس طول الوقت داخل المسجد، ينظفه متطوعاً دون مقابل حتى يكتسب مكانة تحميه من بطش الجيران .

— هات لى شاي يا حمادة .

قالها (ليزا) بصوت منخفض أثناء مرور (حمادة) القهوجى أمامه حاملاً طلبات لزبائن القهوة.

وقبل أن تمر دقيقة واحدة، يقف (ليزا) ويجذب (حمادة) القهوجى من ياقة قميصه قائلاً: مش قلت لك هات شاي يا حمار ؟!

حمادة يرتعد مردداً: والله ماسمعت ياعم (ليزا) والله ماسمعت، هو أنا أقدر أتأخر عنك برضه ؟!
يأتى (وزة) مهرولاً: صلوا على النبى إيه اللى حصل بالظبط ؟!

يوجه (وزة) اللوم كله لحمادة :

— دائماً جايب لى الكلام، يا تشوف شغلك عدل يا تغور فى ستين داهية.

— والله ماعملت حاجة ياعملم.

قالها (حمادة) وهو يبكى.

— عموماً أنا آسف ياعم (ليزا) وحقك علىّ.

يدخل (حمادة) بسرعة إلى الناصبة ويحضر الشاي، ولكن (ليزا) يرفض أن يشربه، ويغادر القهوة متجهاً إلى سور الصنايع وهو يتمتم بألفاظ غير محددة وكلمات غير مفهومة.

يعارك (ليزا) كل شئ يقابله فى طريقه، كأنه فى صراع مع كل شئ، ويرفض كل شئ، يفتح مطواته (قرن الغزال) ثم يغلقها ثم يفتحها كأنه يأتنس بصوتها، ويخربش بها

كل السيارات المكونة إلى جوار سور الصنائع دون معرفة سابقة أو عداء مع أصحابها فيشوهها.

وبعد صراعه مع الزجاجات الفارغة الملقاة فى الطريق، وركله كل (الكراتين) الملقاة بجوار سور الصنائع، يصل إلى ناصية السور مع شارع ترعة السواحل، الملاذ الثانى له حين يمل قهوة (وزة) .

بمجرد وصول (ليزا) إلى الناصية يظهر أشرف سعد وأحمد قيادة كأنهما خرجا من تحت الأرض، فهما صديقا ليزا، وحين يجتمع الثلاثة يوقن الجميع بأن ثمة مصيبة كبيرة ستحدث الليلة فى سور الصنائع تهز إمبابة كلها، ويظل الناس يتحكون بها عدة أيام .

قال قيادة موجهاً حديثه إلى (ليزا) :

— عامل إيه يازميلي؟

— متكسر على الآخر والحالة ضنك.

يتدخل أشرف فى الحوار:

— ومين سمعك دا انا حايع وباكح تراب.

— مافيش أى مصلحة؟

يقولها (ليزا) بمسكنة لأشرف.

قيادة موجها حديثه إلى (ليزا) :

- سيبك من الواد ده ليودينا فى داهية.
- انا برضه ؟! الحق علىّ إنى بأدلكم على المصلحة.
- قالها أشرف بتأثر مصطنع.
- سيبك منه وخليك معايا.
- (ليزا) متحدثاً إلى أشرف.
- قيادة : والله الواد دا هيودينا فى داهية.
- (ليزا) موجهها حديثه لأشرف : سيبك منه.
- أشرف: عندى مصلحة فى الجون.
- (ليزا) : إيه هي ياجمجمة ؟
- فيه مشوار هنروح وهنرجع معنا فلوس قد كدا (ويفتح يديه على آخرهما)
- معاك يابا، فين المشوار ده؟
- يقولها (ليزا) بلهفة عطشان وجد الماء أخيرا .
- قيادة موجهاً حديثه لأشرف سعد :
- أنت مش هتهبط إلا لما تودينا فى ستين داهية.
- (ليزا): هو فيه إيه بالظبط؟
- الواد ده قلبه ضعيف وعيل هتيا.

يقولها أشرف بغضب موجهاً حديثه إلى (ليزا).

قيادة : اتلم ياروح أمك بدل ما أعمل لك خريطة فى وشك، مع إنى مش لاقى فيه مكان فاضى وكله خرايط، وعيال الحتة كلهم معلمين عليك .

أشرف موجهاً كلامه لليزا : خلى الواد دا يسكت ويلايمها أحسن له.

قيادة : والله انت كداب وماتقدر تعمل حاجة .

أشرف يهم ليشتبك مع قيادة فيفرقهما (ليزا) قائلاً :

— انتوا هتخيبوا على كبر، ورحمة أمى لو ما لميتوا نفسكم لافتح مطوتى، وانتوا عارفين، عمر (ليزا) مايفتح مطوته ويقفلها من غير مايزفرها.

يتراجع قيادة و أشرف .

(ليزا) موجهاً حديثه لأشرف : وأنت يا ابن العايبة لخص، فين المشوار ده ؟ وأنا والله لو فيه مصلحة معاك، الحالة ضنك.

قيادة لليزا : أقول لك أنا، ابن المجنونة دا عاوزنا نوقف قطر الصوامع، ونثبت سواق القطر، ونسرق الغلة ونبيعها لتاجر تبعه فى سوق الجمعة .

(ليزا): نثبته ونثبت أبوه، معاك يازميلي.

(موجهاً حديثه لأشرف الذى أشرق على وجهه ابتسامة
محت كل «البشل» المحفورة فى وجهه)

قيادة : والله انتوا عيال مجانين .

أشرف: جاى معانا ولا لأ؟

قيادة: لأ.

ينظر (ليزا) إلى قيادة بغضب فيتراجع : معاكم طبعاً، أنا
عارف إن نهايتى هتكون على إيديكم.

(ليزا): على البركة، وإمتى المشوار ده يا صاحبى؟

أشرف: كل يوم ثلاث الشيوخ والسنية بيعملوا حاجة
اسمها لقاء الثلاثاء، بيقفلوا شارع المطار لغاية شارع البوهى
حتى المفارق والبصراوى، كل الناس لابسة أبيض فى أبيض
كأنه عيد وزحمة موت على شريط قطر الصوامع، والقطر
بيهدى غصبٍ عنه، وساعات بيقف خالص لغاية المسيرة
ماتخلص، احنا هنطلع نثبت السواق ونخليه يقف خالص.

قيادة: والحكومة؟

أشرف: يا ابنى مافيش حكومة، دا لو الحكومة جت
الشيوخ يقرقشوهم، إحنا هنطلع ونخلي الأنفار يحملوا
الشولة اللى احنا هنرميها على العربيات النقل، وكان الله
بالسر عليهم .

قيادة: ايه ده كله ؟! دا انت خيالك واسع قوى، قطر
إيه اللي هتثبته يا ابن المجنونة، وأنفار إيه وعرييات،
منين ده كله، هو إحنا حيلتنا اللضا؟!

أشرف: إتكا على الصبر، المعلم جلهوم صاحب القرن
اللى فى شارع القدس تاجر غلال كبير، واشترى منى
مقدم، والعرييات بتاعته والأنفار من عنده .

(ليزا): المعلم جلهوم ؟!

أشرف: أه والله.

(ليزا): ع البركة.

(أشرف سعد) وأحمد قيادة فى نفس الوقت: ع البركة.

الشيخ إبراهيم

«الأعداد فى زيادة مستمرة، الحمد لله، كنت واثقاً بأن الله سينصر دعوتنا، حين كنت أعلم المبلغين وأشرح لهم كتاب حياة الصحابة، وكيف بدأت الدعوة، لم يخطر ببالي أبداً أن يؤمنوا بكل ماجاء فيه كل هذا الإيمان حتى صار دستوراً لهم، يطبقون تعاليمه التى كنت أشرحها لهم بإخلاص وإحسان».

كانت هذه الكلمات تدور فى ذهن الشيخ إبراهيم عزت - أمير جماعة التبليغ والدعوة فى مصر - وهو يمر فى ساحة مسجد أنس بن مالك بقميصه ناصع البياض وعمامته البيضاء الكبيرة، بوجهه الأبيض المنير، ولحيته خفيفة الشعر وقامته الربعة، وساحة المسجد تحتضن أناساً من كل الأعمار، وجوها جديدة تملأ ساحة المسجد الكبيرة وكأنهم ينتظرون الخطيب كى يصعد المنبر فى يوم جمعة أو عيد، مع أننا بعد صلاة عصر يوم الثلاثاء فى أبريل ١٩٨٢.

الشيخ يمر بين الجموع ويدخل الغرفة الكبيرة التى يعدون فيها الطعام، ويتفقد الطهارة وينشر بينهم جواً من الألفة قائلاً: بارك الله فيكم.

يصطف المبلغون الخارجون فى سبيل الله بانتظام متراسين كأنهم سيبدأون صلاة جماعة فى انتظار كلمة الشيخ إبراهيم عزت .

كل حركة محسوبة ومدروسة بدقة وعناية ، كل أربعة فى مجموعة يخرجون لأداء مهمة محددة فى منطقة محددة فى زمن محدد ، يختارون منهم أميراً عليهم يدينون له بالطاعة الكاملة لوجه الله وابتغاء مرضاته ، يتشاور معهم فيقرر وما عليهم إلا السمع والطاعة حتى تنتهى الجولة بالعودة إلى مسجد أنس بن مالك حيث بدأت جولة الخروج فى سبيل الله .

وقد يخرج المبلغون شهوراً أو أسابيع أو بضعة أيام فى انقطاع كامل وتفرغ للدعوة والتبليغ عن الله ، والمسجد هنا يتكفل بكل شئ : الطعام والمكان المخصص للراحة والنوم والمناخ الذى يساعد المبلغين على التفرغ للعبادة وقراءة القرآن بانتظام فى حلقات الذكر وتنظيم الخروج من المسجد والرجوع إليه بانضباط متناهى الدقة .

(بينما يمر الشيخ بين المبلغين يدور حديث طويل فى رأسه)

«ماشاء الله ، لقد نجحت التجربة ، نجاح التبليغ والدعوة فى مصر كان متوقعا ، نعم ، فالظروف متشابهة إلى حد كبير مع تلك الظروف التى كان يمر بها الإسلام فى الهند عندما هجر المسلمون المساجد فتصدى لهذه الظاهرة الداعية الهندى محمد الكاندهلوى .

يتذكر الشيخ إبراهيم كيف ألف محمد الكاندهلوى كتاب «حياة الصحابة» الذى أصبح دستوراً لجماعة التبليغ والدعوة، وأخذ على عاتقه أن يدعو الناس ويحرضهم على دخول المسجد فقط دون الحديث فى أى علم شرعى أو اختلاف فقهى.

تعمير المساجد بالمسلمين، هذا هو كل شئ.

نجح الكتاب وذاع صيته وترجم إلى عدة لغات، منها العربية، وقرأه الشيخ إبراهيم عزت، الذى آمن بما فيه، وأخذ على عاتقه تطبيق تعاليمه، وتحقيق أهدافه فى مصر، وهى أن تخرج جماعات من المسجد تطوف القرى والمدن فى المقاهى والأسواق وتدعو الناس للصلاة فى المسجد فقط، ثم يتحولون هم بعد ذلك إلى دعاة ومبلغين عن الله، يدعون آخرين بنفس الطريقة دون النظر لعلمهم الدينى أو مستواهم الاجتماعى أو حتى قدرتهم على الإقناع.

يقف الشيخ إبراهيم فى ساحة المسجد ويوجه حديثه للمبلغين الذين يملأون الساحة :

— مين هيخرج معانا فى سبيل الله خمستاشر يوم فى مدينة الزقازيق ؟

يرفع بعض الجالسين أيديهم، فيشير الشيخ إلى أحد الشباب المساعدين له بأن يسجل الأسماء.

— مين هيخرج معانا شهر فى باكستان ؟

يرفع شباب آخرون أيديهم، فيشير الشيخ لتسجيل الأسماء قائلاً : ماشاء الله، اللهم انصر الإسلام وأعز المسلمين .

ينتهي الشباب من كتابة أسماء المبلغين الخارجين فى سبيل الله، فيشير الشيخ بالاستعداد لصلاة المغرب التى يعقبها درس مهم جداً من كتاب «حياة الصحابة» يستمر حتى أذان العشاء .

وما إن انتهى الجمع من صلاة المغرب حتى يخطب الشيخ ابراهيم جالساً على كرسى بجوار المنبر، ومن خلفه القبلة، وأمامه المبلغون الجدد والقدامى، الكل يتابع بحرص وإنصات، وكلمات الشيخ تتوالى لتصافح آذانهم فى جلال مهيب :

«الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين...وبعد :

فإن أصحاب رسول الله (ﷺ) هم أكرم الناس عند الله عز وجل، اصطفاهم لأكرم رسله ليسمعوا منه ما أنزل عليه من ربه ويشهدوا من أفعاله وتصرفاته العامه والخاصة ما يزيدهم إيضاحاً لمعانى التنزيل وفهماً لأصول الدين وقواعد التشريع، ووقفهم الله للعمل بما علموا فكانوا للهدى أعلاماً،

وللعلم أئمة، وللعمل الصالح قدوة، وللحق أنصاراً، وللدين دعاة مرشدين، وكانوا خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويعلمون الناس كيف يكون الإيمان بالله، وكيف يكون التوكل على الله، وكيف يكون الإخلاص لله.

كانوا على مثال الخلق الفاضل، والكمال الوافر، والسلوك النبيل، فى عباداتهم وعاداتهم ومعاملاتهم، طهر الله قلوبهم من العصبية وحمية الجاهلية وأنزل الله عليهم سكينته وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها، من اقتدى بهم حشر معهم وفاز بجوارهم».

وعندما وصل الشيخ إبراهيم عزت إلى هذه المنطقة من خطبته انطلق صوت الشيخ عبدالمنعم متضرعاً:

«اللهم احشرونا مع أصحاب رسول الله!»

قالها وهو ينظر للمبلغين ويرى فى وجوههم مدى الاستجابة لكلمات الشيخ إبراهيم.

والشيخ عبدالمنعم هو الرجل الثانى فى جماعة التبليغ، وقد وهب حياته وماله - خمسة ملايين جنيه - للدعوة والتبليغ عن الله.

المبلغون: آمين .

— اللهم اجعلنا من أصحاب رسول الله .

— آمين .

— اللهم استخدمنا فى التبليغ والدعوة لدينك يارب العالمين
كما استخدمت أصحاب رسول الله .

— آمين .

ثم ينطلق صوت الشيخ عبد المنعم، وكأنه يكمل ما بدأه
الشيخ إبراهيم عزت:

«يقول الله عز وجل فى الآية التاسعة والستين من سورة
النساء: {ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله
عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن
أولئك رفيقا}».

يلتقط الشيخ إبراهيم من نهاية حديث صاحبه عبد
المنعم بداية جديدة، فيقول موجهاً حديثه لجموع الشباب
المنضمين اليوم لجماعة التبليغ والدعوة (المبليغيين.. كما يحب
أن يطلق عليهم):

«ولكى نقتدى بأصحاب رسول الله (ﷺ) قدوة صحيحة
ينبغى أن نتعرف على أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم، ونقف
متأملين عند كل كلمة قالوها، وكل شئ فعلوه أو تركوه، وكل
شئ أقروه وكل شئ أنكروه، وهذا الكتاب (يشير إلى كتاب
حياة الصحابة الذى يرفعه بيده) من الكتب التى حفلت
بكثير من سير أصحاب النبى (ﷺ) ومن لقيهم من التابعين

أو عاصرهم، فقد جمع فيه العلامة الشيخ محمد يوسف الكاندهلوى صوراً من حياتهم ونبذاً من أخلاقهم، وتحفاً من مكارمهم، وجمالاً من حكمهم ونصائحهم؛ لتكون نبراساً ينير الطريق لكل من أراد أن يدعو إلى الله على بصيرة من أمره، ولكل من أراد أن يسلك طريق العارفين بربهم على بينة تجعله دائماً مستمسكاً بدينه متسلحاً بيقينه، كلما اعترته شبهة نظر فى حياة الصحابة فصحح النية وأصلح الطوية وعاد إلى رشده أحسن مما كان».

عند ذلك ينتبه الشيخ إلى أن موعد أذان العشاء قد حان، حين يرى المؤذن يتقدم كي يرفع الأذان معلناً نهاية الدرس.

محمد ليزا

حين بلغ (ليزا) الخامسة من عمره، أراد والده الأستاذ محمود (المصوراتى) أن يستغل كل علاقاته كى يدخله المدرسة، فهو نبيه جداً ويحفظ ثلاثة أجزاء من القرآن الكريم: عم، وتبارك، وقد سمع، وصوته جميل فى القرآن، ولابد أن يحصل له على استثناء يتيح له دخول المدرسة مبكراً، لأنه موهوب ويسبق كل أقرانه ليس بسنة واحدة بل بسنوات .

ذهب محمود إلى مدرسة ابن خلدون الابتدائية، وقابل الأستاذ صبرى ناظر المدرسة، فهو يعرفه معرفة شخصية، فقد صور ابنته فى ليلة زفافها صوراً جميلة فى استوديو (موناليزا) الشهير الذى يملكه فى إمبابة.

محمود محدثاً نفسه : أكيد لسه فاكرنى، أنا لازم أقنعه وأبوس إيده لو اقتضى الأمر، نفسى محمد يبقى من العلماء، ماشاء الله عليه، بيحفظ كل حاجة بسرعة وعنده ذكاء غير عادى.

وصل الأستاذ محمود إلى المدرسة، وطلب مقابلة الناظر الذى رحب به واستقبله قائلاً: اتفضل يافنان.

- ألف شكر يا افندم.
- تشرب إيه ؟
- ولا حاجة أنا لى طلب عند حضرتك.
- تحت أمرك.
- العفو، ابنى الوحيد محمد نفسى أدخله المدرسة عند حضرتك هنا ويكون تحت رعايتك.
- قوى قوى.
- بس فيه مشكلة.
- لو نقدر نحلها مش هنتأخر.
- محمد ماکملش الست سنين، بس ذكى قوى وسابق سنه.
- فاضل له كام يوم يعنى ولا شهر ولا يهملك، هات لى الورق بكرة وأنا أخلص لك كل حاجة، تأمر يا أستاذ محمود، أهلاً وسهلاً.
- هو عنده خمس سنين وكام يوم.
- طب وأنت مستعجل ليه ؟! طب ما ييجى السنة الجاية فى ميعاده.

— مش عارف يا أستاذنا، فيه حاجة جوايا بتدفعنى قوى، ومخليانى مصر على دخوله السنة دى، ومش عارف إيه هى.

— الموضوع دا صعب جداً، بصراحة مستحيل، دى سنة كاملة، إن شاء الله السنة الجاية يكون مع الأولاد فى المدرسة.

— اللي يعيش !

— ربنا يدريك الصحة وطولة العمر، دا انت لسه صغير
أمال احنا نقول إيه ؟!

خرج محمود وهو حزين دون أن يعرف هو نفسه سبب هذا الحزن، فابنه سيدخل المدرسة العام القادم فى موعده القانونى، ولكن شيئاً ما داخله كان جعله يتمنى أن يفرح الآن - وليس غداً - بابنه اليتيم الذى ماتت أمه وهى تلده فصار هو أباه وأمّه فى نفس الوقت.

عاد محمود إلى الأستديو، وقبّل طفله الذى يصحبه دائماً معه فى كل مكان، هذا الابن الذى وهبه حياته كلها ورفض أن يتزوج حتى لا يحدث لابنه الوحيد ما حدث له هو شخصياً حين تزوج والده بأخرى بعد وفاة والدته، فهو لا يستطيع أن ينسى كيف كانت زوجة أبيه تعذبه حتى اضطر إلى الهرب من البيت، والعمل فى كل شئ إلى أن بنى

نفسه بنفسه، وتعلم التصوير، فهو وحيد بلا عائلة، وابنه محمد - مثله - لن يكون له سند فى هذه الحياة من بعده، فقد كانت أمه وحيدة والديها وكانت حين تزوجها محمود يتيمة الأبوين وماتت وهى تلد ابنيهما (ليزا).

أنهى محمود عمله فى الاستوديو، وأخذ ابنه فى يده إلى البيت؛ فهو صاحب هذا البيت الصغير المكون من دور أرضى به أستوديو التصوير، وشقته، وثلاثة شقق مؤجرة يحصل منها على إيجار شهرى يساعده على الإنفاق على (ليزا).

— تتعشى إيه يامحمد؟

— أنا اسمى (ليزا) يابابا مش محمد.

— لا.. اسمك محمد.

— بس كل اصحابى بيقلوا لى ياليزا، وأنا باحب اسم (ليزا) مع إنى ما اعرفش سببه.

— وانت صغير ماكنتش بتعرف تقول موناليزا اسم الاستوديو بتاعنا وكنت بتنطقها (ليزا).

— عشان كدا، أنا لوحدى اسمى ليزا، وكل الناس عارفانى، وأنا باحب كدا، ونفسى الناس كلها تبقى عارفانى، وأبقى مشهور قوى، وأطلع فى التلفزيون.

— التلفزيون مره واحدة؟

— والسيمما كمان.

— إن شاء الله يا حبيبى، يلا بقى عشان نروح نتعشى وننام.

مرت شهور، بعدها شعر الأب بالإجهاد، ويبدو أن الصداق المزمع الذى كان يعانى منه قد عاوده مرة أخرى . دخل محمود فى الدوامة المعتادة، فبدأ ترده على المستشفى لإجراء فحوص طبية متعددة، كان مسكوناً بخوف مريب، لا على نفسه، بل على ليزا، كان يتساءل عما سيفعله ابنه حين يصير وحيداً فى هذه الحياة القاسية دون أب ولا أم ولا عائلة.

جاءت النتائج كالزلزال، فقد أكدت الفحوص أنه يعانى من تليف فى المخ، وأن حالته متدهورة، وأن موته متوقع خلال أيام أو شهر على الأكثر.

فهم محمود وقتئذ سبب تلهفه على أن يفرح بدخول (ليزا) المدرسة، هذه الفرحة التى سيحول الموت بينه وبينها، كان يتمنى أن يرى (ليزا) بملابس المدرسة، وأن يوصله بنفسه فى أول يوم من عامه الدراسى الأول.

لكن الموت عاجله ليحرمه من هذه الفرحة التى تمنّاها، وهذه اللحظة التى طالما تاق إليها، وحلم بها.

نشأ (ليزا) وحيداً، يتيماً، لا أحد يراعه إلا عم عبد الله مساعد والده فى الأستوديو، فقد استأجر الأستوديو بعد وفاة الأب، وتعهد بدفع الإيجار، بل وتكفل بتحصيل إيجار الشقق الأخرى، والإنفاق من عائدها جميعاً على الطفل، وبأن يدخر له الباقي حتى يكبر، وتعهد بهذا أمام جميع كبار المنطقة الذين صاروا شهوداً على ذلك.

دخل (ليزا) المدرسة، ولكنه - على غير ما كان أبوه يتوقع له - تعسر فى المسيرة تعسراً شديداً، إلى أن اضطر للخروج من المدرسة مبكراً بعد أن رسب فى الإعدادية.

عرف (ليزا) طريقه إلى التدخين فى سن مبكرة جداً، واكتشف فى نفسه جرأة شديدة عرفها عنه أيضاً المحيطون به، فقد كان يصارع الكلاب فى الشارع، ويجرى وراءها، ولا يخاف أبداً من أى شئ.

كان ينام وحده فى البيت حتى تعرف على أشرف سعد وأحمد قيادة، وهما من أطفال الشوارع، فصارا ينامان معه فى البيت وأصبحا كل عائلته وأصبح هو ومنزله ملازهما من البرد وظلمة الليل.

كان الإيجار يكفى (ليزا) وهو صغير، ولكن عندما كبر أصبح المبلغ لا يكفى إلا ثمن السجائر فقط .

كانت كل الظروف مواتية ليتأثر (ليزا) بكلام أشرف سعد، فأشرف يتمتع بملكات خاصة، خفيف الظل لدرجة خرافية، ويحفظ مئات النكات والنوادر، ويتمتع بقدرة هائلة على إقناع (ليزا) بما يريد في أى وقت، حتى أطلق عليه (ليزا) لقب (الجمجمة).

أهدى أشرف إلى (ليزا) مطواة قرن غزال وقال له :

- دى ليك ياشقيق.
- أنا بعون الله مش محتاجها، أنا بادافع عن نفسى بدراعى، بلاش يا أشرف.
- خليه معاك ممكن تحتاجها.
- مادمت أنا مش هاستعملها مالهاش لازمة معايا .
- عندئذ تدخل أحمد قيادة موجهاً حديثه إلى أشرف :
- أنت شيطان يا ابنى؟ قالك مش عاوز.
- اقعد لنا انت على جنب ونقطننا بسكاتك، أنا مش عارف مين ابن العبيطة اللي سماك قيادة!!
- عشان أنا أحسن واحد فى المنطقة بيسوق كل حاجة، موتوسيكلات وعربيات وقطورات كمان لو حبيت، ومافيش معايا أى رخصة قيادة، وماعرفتش أطلع رخصة مع إنى حاولت كتير .

أخذ (ليزا) المطواة من أشرف، ومن وقتها لم تفارقه أبداً.
مشى الثلاثة فى اتجاه شارع ترعة السواحل، حيث
الوقوف على الناصية هناك له العديد من الفوائد.
بأدرهما (ليزا) بالسؤال :

— احنا رايعين فين ؟

أجاب أشرف فى مزيج من الابتسام والسخرية :

— هنقف فى الهواء، نشوف الناس اللي على حق، والحريم
اللى على حق.

بأدره أحمد قيادة معترضاً ومسلماً فى الوقت نفسه : والله
انت شيطان، وهتودينا فى داهية.

وصل الثلاثة إلى الناصية، وكل واحد منهم معه مطواة
قرن غزال، وقد أعطى أشرف كلاً من رفيقيه حبة من
(الترامادول).

فى هذه اللحظة حان لهم صيدهم الأول، فقد لمح أشرف
من بعيد شاباً وفتاة وقد شرعا فى قبلة مسروقة خلف سور
الصنايع، ولاحظ أنهما فى حالة من التوافق والانسجام،
فلا يبدو على الفتاة أنها مرغمة على ذلك، بل بدت
متجاوبة معه، فدخل عليهما شاهراً مطواته قائلاً : — اثبت
ياد انت وهى، هات اللي معاك.

- فزع الشاب وبدأ يخلع ساعته وهو يقول مرتعشاً :
- والله ما معايا غير الساعة وعشرة جنيه.
- التقط أشرف منه الساعة و الجنيهاات العشرة قائلاً :
- هاتهم.
- ثم التفت إلى الفتاة :
- وانت يابت هاتى الخاتم ده يا إما هقطعلك صوابك بالمطوة وبرضه هاخده.
- انهارت الفتاة باكية وهى تخلع خاتمها قائلة :
- خد أهو، بس والنبي سيبنى أروح.
- يأخذ أشرف الغنائم، ويترك الشاب والفتاة ويرجع إلى (ليزا) و قيادة قائلاً وهو يضحك : اتعشت.

أمل

خضراءُ الدّمن، الزهرة الرقيقة التى تبث عطرها فيمن حولها، تهون عليهم مرارة الأيام، تعطيهم الأمل، تكون عادة محاطة بالأشواك من كل اتجاه، تطاردها العيون الطامعة التى تعتقد أن الفقر سيجعلها سهلة المنال، وأنها مُعدة وجاهزة للقطف فى أى وقت إذا لَوَّح لها الذئاب بالمال؛ فالذئاب دائماً تتربص بالفقراء.

(أمل) .. فتاة جميلة فى التاسعة عشرة من عمرها، تسكن فى منطقة سور الصنائع، أمام أستوديو (الموناليزا) فى حارة حسين الشيخ المتفرعة من شارع القدس، أكبر عشوائيات إمبابة عاصمة الفقر وملاذ الفقراء.

(أمل) التى أعطاه الله حسناً وفقراً متساويين، تتساءل دائماً عن الحكمة التى يريد بها الله من أن يعذبها بجمالها الذى هو سبب شقائها فى الحياة، فهى كلما عملت فى شركة أو محل يقربها صاحب العمل، ثم يغريها بالمال وزيادة الراتب حتى تتغاضى عن تصرفاته الشاذة واحتكاكه وتحرشه الدائمين بها، وإذا تركت العمل وجلست فى بيتها

ماتت جوعاً لأن هذا الخنزير الجالس فى البيت لا ينفق عليها، هذا الخنزير الذي تملؤها الشكوك حوله ، ففتساءل : كيف يمكن أن يكون هذا أبى؟!

رجل غريب الأطوار يشرب البانجو والحشيش فى صالة المنزل نفسه ، ويجبر (أمل) على تقديم الشاى لأصحابه المساطيل ، وتغيير (الجوزة) وغسل الحجارة ورص المعسل للحشاشين أصدقائه الذين يأكلونها بعيونهم ولا يتوقفون عن التهام جسدها الشهى بخيالاتهم قبل أعينهم، فهذه هى الطريقة الوحيدة التى يضمن بها صلاح -والدها- الحصول على المخدر مجاناً، إنه يوفر لهم مكاناً آمناً لتناول المخدرات، وهذا كل ما لديه.

أما هم فيحضرون الحشيش والطعام وعلبة السجائر، وهذا كل مايتمناه، فهو كائن غريب، لا يأكل تقريباً ولايشرب ولايهتم إلا بالحشيش والسجائر والبيرة التى لا يفيق منها أبداً.

«يارب خدنى وريحنى من العذاب اللى أنا فيه»

قالتها (أمل) وهى تبكى فى غرفتها الضيقة الحقيرة، هذه الغرفة التى تطبق بجدرانها على روح (أمل)، فإذا ما تاقت إلى بعض الهواء وأرادت أن تفتح شباكها لاترى إلا أقدام المارين فى الحارة، فالبيت قديم وهم يسكنون فى الدور الأرضى الذى تحول مع مرور الزمن وارتفاع أرضية

الشارع إلى ما يشبه (البدرود)، بل تحول إلى (بدرود) حقيقى
بكل ما تحمل الكلمة من معنى.

لا تجد (أمل) مهرباً من الحزن والبكاء إلا إلى النوم الذى
يشبه الإغماء، وهى تنظر بدهشة دائمة لصفاء - صديقتها
الوحيدة - عندما تقول لها:

— أما انا امبارح حلمت حنة حلم، مستغربة كذا ليه؟!

— تعرفى إن انا عمرى ما حلمت.

— إزاي يابنتى؟

— والله زى ما باقول لك كده، أنا بافضل أعيط .. أعيط
لحد ما يغمى علىّ وأنام. سيبك منى أنا وقولى لى
حلمتى بآيه؟ .. احكى لى.

— عارفة الواد اللى بيغنى مبال مبال، القمر ده؟

— عمرو دياب، ماله؟

— خدنى فى البحر، ده طلع واد قليل الأدب قوى.

— دا انت اللى سافلة يامجرمة... هو برضه؟!

— يعنى انتِ عاوزة تفهمينى إن قلبك لسة ما دقش؟

— الحب مش للى زينا.

— مالنا يا اختى؟ يعنى انت عاوزه تفهمينى إنك مابتفكريش فى الجواز؟!

— جواز إيه ؟! إزاي ؟! هو فيه حد يرضى يناسب عمك صلاح الحشاش، دا أبوى ما بي فوقش من الحشيش والبيرة، ولوربنا رزقه بقرشين بينقط بيهم فى الأفراح، حتى لو ما يعرفش أهل العريس ولا أهل العروسة.

— يابت ده انت زى القمر، دا انا لو فى ربع جمالك كانت الرجالة بقت تحت رجلى وأتجوز أغنى واحد فى البلد.

— بيتهميا لك، كلهم عاوزين الحرام، ومرة واحدة جالى عريس عن طريق واحد من اللي بيحششوا مع أبويا، كان راجل سعودى عنده سبعين سنة، ولولا إنى هددت عمك صلاح إنى هاطفش من البيت ومش هيعرف طريقى أبداً، كان زمانى اتجوزت واتطلقت وقاعدة معاه برضه، الناس دول بيبقى ليهم غرض واحد، مجرد مايوصلوا له.. خلاص فى الزبالة، أما الجواز فبيكون بين اتنين قد بعض، بيحبوا بعض، مش أكبر منى بخمسين سنة.

— طب ليه ماتتجوزيش عريس صغير؟.. انت جميلة وكل شباب الحقة يتمنوا.

— يتمنوا يمشوا معايا بس، أما الجواز فمافيش فلوس، وأنا فقيرة وعمك صلاح (البروطة) اللي مرزوع برة، مافيش عيلة محترمة توافق تجوز ابنها لبنته، بنت الحشاش.

— واللّٰه اللّٰى يشوف بلاوى الناس تهون عليه بلوته، دا أبوكِ دا أحسن منأبوى المجنون، تتصورى ابن المجنونة قال إيه بيحبنى.

— بيحبك إزاي يعنى ؟!

— آه واللّٰه، زى ما باقول لك كدا، أنا نفسى ماكنتش مصدقة، وكنت باقول يمكن متهيا لى، لحد مابقى بالمفتشر، وعلى عينك ياتاجر.

— انتِ إتجننتِ يابت، إيه اللّٰى بتقولىه دا ؟!

— بدأت الحكاية كلها يوم محسيت به بالليل وأنا نايمة بيحسس على صدرى، اتفزعت وصرخت فى وشه، وقلت له فيه إيه؟، قال لى كنت باغطيكِ.

— مافيهاش حاجة لما يغطيكِ، انت اللّٰى مخك حادف شمال.

— اصبرى بس أما أقول لك، عملها تانى وسيبته لحد ماکمل وطلع صدرى ومسكه بإيده.. رحت مصوطة وليت عليه البيت، أختى ثناء وأمى جم جرى، وقلت لهم على اللّٰى عمله وفضحته، قال دى مجنونة، على الطلاق بالتلاتة لو حد كلمنى أو فتح بقه معايا لأطلق أمكم وارميكوا فى الشارع انتوا التلاتة.

— وأمك عملت إيه؟

- سكنت طبعاً، وانسحبت هي وثناء ودخلوا ناموا .
- إزاي؟!
- هيروحوا فين؟ أمى مقطوعة من شجرة، وأختى ثناء يادوب تسع سنين، لاينفع تشتغل ولا تتجوز.
- وهو دي الوقت بيعمل إيه معاك؟
- زهقت منه، وساعات بأعمل نفسى نايمة، ولما ألاقيه بيزودها باتقلب فيجري زى الكلب.
- انتِ سافلة، دا حرام، وبيتهز له سبع سموات .
- يعنى أعمل له إيه ؟
- اتكلمى معاه، فوّقيه، أكيد اتجنن ولازم يروح مستشفى المجانين.
- دا صول متطوع فى الجيش، وأكيد هما كشفوا عليه، ولو مجنون كانوا رقدوه من زمان، هو بس بيحبني، اشمعنى مابيعملش كده مع ثناء؟!
- يابنت المجنونة، يعنى انتِ استحلّيتى الحكاية.
- ساعات باحس وأنا عاملة نفسى نايمة إن عمرو دياب هو اللي بيحسس علىّ .
- يانهارك أسود، يعنى الموضوع على مزاجك.

- بصراحة فى الأول كنت قرفانة قوى بس دى الوقت عادى، اتعودت، وكدا بأخذ منه فلوس كتير وباخرج زى ما أنا عاوزة وبازعق له، وباضربه بالجزمة واشتمه قدامهم كلهم، وهو زى الكلب مايقدرش يفتح بقه بكلمة.
- وأمك وأختك ؟!
- أمى عاوزة تاكل وتشرب وخلاص، وثناء مش فاهمة حاجة، بس ساعات باحس إنها بتغير لما بتشوفه خايف على زعلى وعاوز يرضينى بأى شكل .
- ما تسألنى أمك، أكيد الراجل ده مش أبوك.
- أنا برضه شكيت فى الحكاية دى، يمكن الولية دى كانت بتعط وهى صغيرة.
- على فكرة انت شكل وثناء شكل وأخوك - الله يرحمه - كان شكل تالت.
- قصدك إيه ياظريفة ؟!
- يايعيلة مخلطة وملعوب فى أساسها (وتضحك فتضحك صفاء التى كانت تعدل ملابسها استعدادا للخروج)
- على فين ؟
- عندى ميعاد مع حسام، ما تيجى وأخليه يجيب واحد صاحبه .

- لأ ياحلوة، أنا ماليش فى الشمال.
- فكى عن نفسك.
- هو انت فكيتِ ولا إيه يابت ؟
- لأ.
- يابت !!
- بيعمل اللى بيعمله المفقود أبويا، بس وأنا فاتحة عينى
وبيبقى طعمه لذيذ قوى.
- اوعى يضحك عليكِ ويضيعك .
- ياهبله الشغل من فوق بس، أما تحت ممنوع الاقتراب
أو التصوير.
- يا مجرمة نهايتك هتبقى سودا إن شاء الله، خلى بالك
من نفسك، ربنا يبعد عنك شيطانك.
- خرجت صفاء، وأخذت (أمل) نفساً عميقاً، ثم قالت
بحالة من الرضا : الحمد لله على كل حال، اللى يشوف
بلاوى الناس تهون عليه بلوته.

مسجد أنس بن مالك

مساحة شاسعة من شارع أنس بن مالك تتقاطع مع شارع شهاب، أرقى وأعلى مكان لسكن الأغنياء بحى المهندسين فى مصر، حوالى أربعة آلاف متر مربع، بنى عليها ثلاثة طوابق للصلاة والعبادة وخمسة طوابق فى مبنى ملحق بالمسجد للمعيشة والإقامة للمبلغين، مرتبة ومخصصة لكل الوفود حسب البلد التى أتوا منها، جناح مخصص للمبلغين من إفريقيا، وجناح آخر للآتين من آسيا، و آخر للمصريين الوافدين من محافظات بعيدة.

فرغ المبلغون من صلاة العشاء، ثم صعدوا إلى المبنى الملحق بالمسجد، حيث يكون لهم مطلق الحرية، من أراد منهم أن ينام نام، ومن أراد منهم أن يصلى ركعتى الشفع وركعة الوتر وأن يقرأ القرآن حتى أذان الفجر فعل ما أراد .

يرفع أذان الفجر، فينزل المبلغون من المبنى الملحق بالمسجد ويتجمعون فى ساحته الكبيرة أمام القبلة والمنبر، حيث يتقدم الشيخ إبراهيم عزت ليؤم الناس بعد أن أقيمت الصلاة.

وقف المبلغون القدامى والشباب الجدد فى صفوف متراصة ومتجانسة بملابسهم البيضاء، وكأنهم أسراب من الحمام الأبيض المحلق فى انتظام وجمال.

السلام عليكم ورحمة الله، السلام عليكم ورحمة الله، قالها الشيخ لتنتهى الصلاة، ويتقدم الشيخ عبدالمنعم ويده كتاب رياض الصالحين ليفتح اليوم باباً جديداً من أبواب الفضائل، وهو باب فضل قراءة القرآن الكريم، وهو عادة يقرأ هذا الباب عند قدوم فوج جديد من الشباب الراغبين فى الخروج فى سبيل الله للمرة الأولى.

يتابع كل الحضور الدرس باهتمام بالغ مع اختلاف مستواهم العلمى، فمنهم من حصل على الدكتوراة، ومنهم الأمى الذى لا يقرأ ولا يكتب، فهذه الجماعة ليست حريصة إلا على شئ واحد هو عودة الناس للمساجد ومكافحة ظاهرة التهرب من صلاة الجماعة، والخروج إلى الناس فى كل مكان ودعوتهم للصلاة فى المسجد فى جماعة.

انتهى الشيخ عبدالمنعم من الدعاء باكياً، مبكياً كل المصلين خشوعاً وتقوى .

قام المبلغون، وتسلم كل واحد منهم مكانه فى الخدمة اليومية، فمنهم من ينظف، ومنهم من يخرج إلى السوق ليأتى بالطعام، ومنهم من يطهو الطعام، ومنهم من يرتب كل شئ ويعيده سيرته الأولى، فيرجع المصاحف إلى مكانها

الأول فى المكتبة، ويضع كل شئ فى مكانه المخصص له.

فرغت الساحة الكبيرة من المبلغين، وبقي الشيخ عبدالمنعم الذى أقبل على معلمه الشيخ إبراهيم عزت مقبلاً يده بقصد التماس البركة، كما يفعل دائماً، ثم توجه إليه بحديث الابن لأبيه :

— يامولانا أ طال الله عمرك وجعلك تاجا على رؤوسنا.

— بارك الله فيك يا عبدالمنعم كيف حالك يابنى؟

— بخير والحمد لله، كل شئ على مايرام، ولكنى أشعر بالقلق لتغير نبرة صوت الأمن، وتحركاته المريبة ضد جماعتنا، وقد عزمتم على ألا أقول لك شيئاً يقلقك، ولكنى لا أحب أن أخفى عنك شيئاً يامولانا.

— إيه اللي حصل ؟ احنا مالنا ومال الأمن ومال السياسة، هو حصل إيه بالظبط ؟

— اللواء محمود الشاعر بعث لى طلب حضور.

— اللواء محمود بتاع أمن الدولة ؟! كان عاوزك فى إيه؟ أنا عارف إنهم قلقانيين من العام الماضى بعد مقتل السادات .

— صحيح يامولانا، ولكن هما أتأكدوا إن التبليغ والدعوة لايعنيها أى شئ إلا أن يؤدى المسلمون صلاتهم فى المساجد وأن يعمروها وألا يهجروها.

— آمال إليه اللى حصل؟

— طلب منى صور بطاقات الإخوة اللى بيخرجوا فى سبيل الله لعمل ملفات لهم فى أمن الدولة، ولما سألته ليه؟ قال لى لحمايتهم وعدم الخلط بينهم وبين الآخرين، فهم يكتبون فى خانة النشاط (سلفى ودود).

— حسبى الله ونعم الوكيل!!

قالها الشيخ إبراهيم عزت وهو يقوم من مكانه منتفضاً، وتوجه ناحية القبلة كى يصلى:

— الله اكبر.

فرغ الشيخ إبراهيم من صلاته، ثم التفت ناظراً لجموع الشباب الجدد، الخارجين اليوم لأول مرة فى سبيل الله، نظرة حانية ثم قال :

— «الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . أما بعد، فإن السيرة النبوية وسير الصحابة وتاريخهم من أقوى مصادر القوة الإيمانية والعاطفة الدينية، التى لاتزال هذه الأمة والدعوات الدينية تقتبس منها شعلة الإيمان، وتشعل بها مجامر القلوب، التى يسرع انطفأؤها وخمودها فى مهب الرياح والعواصف المادية، والتى إذا انطفأت فقدت هذه الأمة

قوتها وميزتها وتأثيرها، وأصبحت جثة هامدة تحملها
الحياة على أكتافها .

إنها تاريخ رجال جاءتهم دعوة الإسلام فآمنوا بها،
وصدقتها قلوبهم، وما كان قولهم إذ دعوا إلى الله ورسوله إلا أن
قالوا : ربنا إننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم
فآمنّا، ووضعوا أيديهم في يد الرسول (ﷺ)، وهانت عليهم
نفوسهم وأموالهم وعشيرتهم، واستطابوا المرات والمكاره في
سبيل الدعوة إلى الله، وأفضى يقينها إلى قلوبهم، وسيطر على
نفوسهم وعقولهم، وصدرت عنهم عجائب الإيمان بالغيب،
والحب لله والرسول، والرحمة على المؤمنين والشدة على
الكافرين، وإيثار الآخرة على الدنيا، والحرص على دعوة
الناس، وإخراج خلق الله من عبادة العباد إلى عبادة رب
العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا
إلى سعتها، والاستهانة بزخارف الدنيا وحطامها، والشوق إلى
لقاء الله والحنين إلى الجنة، وعلو الهمة وبعد النظر في
نشر تعاليم الإسلام وخيراته في العالم، وانتشارهم لأجل
ذلك في مشارق الأرض ومغاربها، ونسوا في ذلك لذاتهم،
وهجروا راحتهم، وغادروا أوطانهم، وبذلوا مهجهم وحر
أموالهم حتى ألقى الدين بجرانه، وأقبلت القلوب إلى الله،
وهبت ريح الإيمان قوية عاصفة، طيبة مباركة، وقامت
دولة التوحيد والإيمان والعبادة والتقوى، وانتشرت الهداية
في العالم، ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

ما إن انتهى الشيخ إبراهيم من خطبته حتى شعر
الشباب بالنور يسكن قلوبهم ويمتد في العروق والعقول،
فأضاءت الوجوه بنور الله الذي ملأ ساحة المسجد.

الساعة

فى إحدى جمعيات رعاية الأيتام بدا أحمد قيادة وكأنه جزء من المنقولات والأثاث، فكل الأطفال الذين جاءوا هنا وجدوه قد سبقهم إليها، لا أحد يعلم متى ولا كيف جاء أحمد قيادة إلى هنا، فالجميع يأتون ثم يذهبون، إلا هو فإنه لا يريد أن يترك الملجأ، لا تمسكاً به، وإنما لأنه لا يعرف مكاناً سواه يمكن أن يذهب إليه، ليس له ملاذ إلا هذه الدار التى تتاجر بهم، وفيهم، فتجمع التبرعات من فاعلى الخير بالآلاف وترمى لهم الفتات .

تعلم أحمد قيادة قيادة الموتوسيكلات والسيارات كما تعلم الميكانيكا حتى صار ماهراً، فعمل فى ورشة أحد المتبرعين للملجأ، وكان فور انتهاء عمله يعود للملجأ للنوم، فهو ملاذه الوحيد .

كان أحمد ضعيف البنيان، يضربه كل من هب ودب، سواء فى الورشة أو الملجأ، فهو لا يستطيع الدفاع عن نفسه إلا بالهروب، حتى تعرف على أشرف سعد، نزيل الدار الذى يتمتع بقلب ميت، وقوة مفرطة، مع أنه دائم

الضحك، لا تفارق الابتسامة وجهه أبداً، حتى وهو يضرب الأطفال فى الدار ويأمرهم بالنوم فوراً :

— ناموا يا بهائم!!

فينام الجميع .

قرر قيادة أن يكون لأشرف سعد كظله، ينفذ كل أوامره، ويعيش فى حمايته، حتى أنه عندما قرر أشرف أن يترك الدار، خرج قيادة معه واختار أن يبيت فى الشوارع فى حماية أشرف، بدلاً من أن يعيش فى الدار دون حماية فيتعرض للأذى الذى ذاقه كثيراً قبل حماية أشرف له .

وعلى الرغم من أن قيادة يميل للسلم، ويكره الصراعات، ويختلف عن أشرف فى كل شىء، إلا أنه أحبه واعتبره أخاً وصديقاً له.

أصبح الكوبرى سقف بيتهما الجديد، فالاثنتان يبيتان تحت كوبرى إمبابة. يخرج أشرف بمطواته -التي لا يباريه أحد فى فتحها بسرعة فائقة واستخدامها ببراعة- يثبت بها المارين فوق الكوبرى، خاصة الشباب الذين يصطحبون الفتيات فى الأماكن المظلمة فى منحنيات الكوبرى، يدخل عليهم وهم فى وضع مخل، يفتح مطواته ثم يقفلها ثم يفتحها، فيلقى صوتها الرعب فى قلوب ضحاياه، ويحصل منهم على كل ما يريد وخاصة الساعة.

يأخذ أشرف الساعات التي جمعها طوال الأسبوع ويذهب بها إلى سوق الجمعة حيث خصص لنفسه مكاناً لبيعها.

كان أشرف يبيع الساعة بربع ثمنها الأصلي، فهو أصلاً لا يعرف ثمنها، فيتوجه الناس له لشراء ساعات ماركات عالمية بأسعار رخيصة جداً.

أشرف ينادى فى السوق :

— الساعة أم ميت جنيه بعشرين جنيه يابلاش قرب يا افندى قرب يابيه.

فى هذه المرة، تجمع الشباب حول أشرف، وإذا بأحدهم يصرخ فيه قائلاً : الساعة دى بتاعتى واتسرقت من أخويا التلات اللي فات، واحد ثبتته وخدها منه.

أشرف فى ثبات وثقة :

— روح هات أخوك، وتعالى، عشان أديها لكم انتوا الاثنين.

— قصدك إيه؟

— امشى ياد من هنا لاشرحك.

— أنا مش هاجيب لك أخويا، أنا من سور الصنايع، وهاجيب لك (ليزا).

— محمد ليزا، هو أنت تعرفه ؟

— أيوه أنا ساكن فى البيت اللى جنبه ، ولو عرف
اللى حصل دا هيحصل قلبان فى السوق ، واللى انت
ماتعرفوش إن (ليزا) ياكل مية لوجه من سور الصنايع
لحد هنا

— بص يا حبيبى ، عشان خاطر (ليزا) أنا مش هقطع
لك وشك بالمطوة وهاسيبك تروح : قال ذلك وهو يفتح
المطواة ويقفلها .

ألقى أشرف الرعب فى قلب الشاب الذى جرى إلى سور
الصنايع وقص على (ليزا) ما حدث .

ليزا : هو قال لك إنه يعرفنى ؟!

— آه والله .

— أنت متأكد إن الساعة دى بتاعتك ؟

— والله بتاعتنى ، وأخويا محمد كان سالفها منى وطلع عليه
واحد ثبته وخدها منه .

— أشرف هو اللى ثبته ؟! دا قلبه ميت ، سرق الساعة ،
وهو اللى بيبيعها ، وفى السوق قدام الناس كدا ، تعالى
معايا .

أخذ (ليزا) الشاب واتجها إلى سوق الجمعة وأثناء سيرهما
انضم إليهما بعض الشباب من سور الصنايع وهم يرددون :

— فيه حاجة ياليزا ؟

— مع مين ياليزا ؟

قبل أن يصل (ليزا) السوق كان عدد الشباب الذين يمشون خلفه لا يقل عن عشرين شاباً مسلحين بأسلحة بيضاء وجنازير.

— هو ده.

قالها الشاب لليزا وهو يشير إلى أشرف.

أشرف باسمًا : هو ده.

ليزا : أنت أشرف سعد ؟

أشرف : وأنت (ليزا)؟

ليزا : أيوه، بص يا أشرف انت وقعت فى الغلط، لأن احنا ماحدش بيتخانق معانا إلا اللي عاوز ينتحر، وأنا هأخذ حقى منك، أنا مايهمنيش الساعة، لكن اللي يزعلنى إنك انت ما قدرتنيش، ووقعت فى الغلط، لما قال لك إنه جارى ويخصنى، وما رضيتش تديله الساعة، الساعة دى دى الوقت بقت تخصنى أنا .

أخرج أشرف علبة بها ساعات كثيرة وأعطاهها لليزا قائلاً : اتفضل يا صاحبى.

— غلبتنى، انت جدع محترم، وجبت معايا من الآخر.

— أنا باحب كل راجل جدع، وباسمع عنك من زمان،
وكان نفسى أتعرف عليك.

— يشرفنى معرفتك، هاستناك عندنا فى المنطقة بالليل
عشان أعمل معاك الواجب.

— كلك واجب يازميلي.

رجع (ليزا) منتصرا وسط همهمات الناس :

— الواد اترعب لما شاف ليزا.

— أصله صيته مسمع فى كل حته.

— ربنا يحميك ياليزا.

— ربنا يحميك يا أخويا.

فى المساء، يذهب قيادة وأشرف إلى قهوة (وزة) لمقابلة
(ليزا) الذى أبى أن يستقبلهما إلا فى منزله تكريماً لأشرف
الذى احترمه وقدره ورفع من شأنه أمام كل أهالى المنطقة.

عندما دخل أشرف و قيادة منزل (ليزا) سأله قيادة :
أنت عايش هنا لوحدا ولا إيه ؟

ليزا : أيوه.

رقصت الفرحة فى عين قيادة، وحدث نفسه قائلاً:
الحمد لله اترحمنا من النوم تحت الكوبرى.

دواع أمنية

دخل الشيخ إبراهيم فى حالة من الذهول الدائم، هذا ما بدا لكل المحيطين به، هو فى حديث داخلى، يحدث ذاته فى حيرة وقلق، لماذا يفعلون معنا هذا؟ لماذا يضيقون علينا؟ حقاً، إن هؤلاء القوم لا يفقهون، فنحن لم نكن ولن نكون محرضين على العنف أو الخروج على الحاكم، أو هدم النظام، بل نحن نحرم الخروج على الحاكم المسلم مادام لم يمنع إقامة شعائر الله، وإذا فسق ندعو الله له بالهداية، لم نسع أبداً إلى السلطة أو المال، كل مانعش من أجله هو إقامة شعائر الله خاصة الصلاة فى جماعة فى بيوت الله التى خلّت من المصلين .

لو عرفت السلطة من هى جماعة التبليغ والدعوة، لخصت لها الأموال كجهة تعمل لصالح استقرار الدولة مثل الأوقاف والأزهر.

فليبق الرئيس فى سلطانه، والوزراء كما هم، والسياسات كما هى، لانطلب أى تغيير، لا نريد منهم مالا ولا مشاركة فى مناصب، كل مانتمناه أن يتركونا نصلى لله، وندعو الناس

للصلاة، ونكمل رسالة رسول الله وأصحابه، فالدعوة لم تمت
بوفاء الرسول بل ظل أصحابه يدعون للإسلام ونحن أصحابه،
كل العصاة ينتظرون دعوة طيبة، فهم أخوتنا الطيبون،
ينتظرون أحداً منهم يذكرهم فقط، ولا يشترط أن يكون
علماً أو شيخاً، فقط إنسان عادى، المهم أن يكون مخلصاً..

رفع صوته محدثاً المبلغين :

— أيها الأحباب اثبتوا، فنحن على طريق رسول الله
ماضون، ولن ندخر وسعاً فى إعلاء كلمة الله. كنت
متردداً فى أن أقص عليكم ما حدث، وأبلغنى به أخى
الشيخ عبدالمنعم، ولكن لأمفر، فقد أبلغنا أحد لواءات
أمن الدولة أنه يجب علينا إخطارهم بأسماء الخارجين
فى سبيل الله معززة بصور البطاقات الشخصية، وذلك
لحمايتهم وحتى لا يحسبوا - خطأ - على المتطرفين الذين
يسعون لقلب نظام الحكم، والساعين إلى السلطة باستخدام
العنف ضد الدولة، وإحداث الفتن، فالخروج على
الحاكم المسلم حرام، ولا يجوز شرعاً حتى لو كان عاصياً.

يتابع المبلغون كلمات الشيخ باهتمام بالغ :

— كل منكم يسلم صورة بطاقته الشخصية للشيخ عبدالمنعم.

خرج المبلغون من المسجد وكانوا حوالى ثلاثمائة أغلبهم
من الشباب، ومنهم عشرون شيخاً كبيراً؛ كى يحضروا
صور البطاقات .

مرت ساعات ولم يحضر أحد منهم، مع أن المكتبة أمام المسجد مباشرة، ولن تستغرق عملية التصوير كل هذا الوقت، نظر الشيخ إبراهيم إلى الشيخ عبدالمنعم بحزن وكأنه نادم على مقاله لهم.

الشيخ إبراهيم (محدثاً نفسه):

— لقد تسرعت.. كان يجب على دراسة الأمر جيداً، قدر الله وماشاء فعل.

ثم رفع صوته قائلاً:

— حسبى الله ونعم الوكيل .

ظل الشيخان فى الساحة الكبيرة للمسجد، الشيخ إبراهيم متكئ على المنبر والشيخ عبدالمنعم جالس أمامه.

حان موعد صلاة المغرب والمسجد خاو بعدما كان عامراً بالمصلين، لم يكن بالمسجد إلا خمسة رجال، يبدو من هيئتهم أنهم لا ينتمون أصلاً للجماعة.

توجه الشيخ إبراهيم إلى القبلة ليؤذن بنفسه لأول مرة منذ سنوات بعيدة :

— الله أكبر، الله أكبر... حى على الصلاة حى على الصلاة ..

— ظل يرددّها وهو يبكى فأبكى الشيخ عبدالمنعم الذى كان يردد وراءه الأذان بصوت عالٍ، حى على الصلاة، وما

إن انتهى الشيخ من الأذان حتى دخل المبلغون المسجد زمراً وفي أيديهم صور البطاقات، فهلل الشيخان وقال معا:

الله اكبر... الله اكبر.

تقدم الشيخ إبراهيم ليؤم الناس، قرأ الفاتحة ثم قرأ... ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾.. وبكى بكاء حاراً فبكى الشيخ عبدالمنعم وكل المصلين بصوت مسموع.

فرغ المصلون من الصلاة، وخرج من خرج، وبقي المبلغون في انتظار الشيخ إبراهيم ودرس جديد من كتاب حياة الصحابة .

الشيخ إبراهيم : الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد، فإن كتاب حياة الصحابة الذى سنبدأ الشرح فيه الليلة قد حفل بكثير من سير أصحاب النبى (ﷺ) ومن لقيهم من التابعين أو عاصرهم، ففيه صور من حياتهم، ونبذ من أخلاقهم، وتحف من مكارمهم، وجمل من حكمهم ونصائحهم لتكون نبراساً ينير الطريق لكل من أراد أن يدعو إلى الله على بصيرة من أمره، ولكل من أراد أن يسلك طريق العارفين بربهم على بينة تجعله دائماً مستمسكاً بدينه، متسلحاً بيقينه، كلما اعترته شبهة نظر فى حياة الصحابة فصحح النية وأصلح الطوية وعاد إلى رشده كأحسن مما كان، إن أسلم طريق وأمثل طريقة إلى الدعوة أن يلتزم الدعاة ومن فى حكمهم منهج أصحاب النبى (ﷺ) فى أقوالهم

وأفعالهم، ووسائلهم فى نشر الإسلام، وطرقهم فى عرضه، وتحملهم فى سبيل الله المشقة والجهد؛ رغبة فى رضوان الله تعالى أولاً، وطمعاً فى جنة عرضها السماوات والأرض ثانياً. يرفع أحد شباب المبلغين يده طالباً السؤال، فيشير له الشيخ قائلاً:

— اتفضل.

— أنا عندى كتاب حياة الصحابة، وقرئت جزء من الثلاث أجزاء، وعرفت إن العلامة الشيخ محمد يوسف الكاندهلوى اتعلم على إيد والده الشيخ محمد إلياس. الشيخ إبراهيم:

— صحيح، وقد عكف على دراسة سير الصحابة ووقف على الكثير من مآثرهم، فأراد أن يجمع منها ماتشتد الحاجة إليه، فجمع هذا الكتاب ورتبه على تسعة عشر باباً وصدره بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية فى طاعة الله ورسوله، واكتفى بالجمع ولم يضيف إليه شيئاً من عنده، ولعله رأى أن مانقله عنهم غنى عن التحليل والتعليل، وأن القارئ يستطيع بنفسه أن يأخذ من سيرتهم ما شاء لمن شاء وكيف شاء.

والشيخ محمد الكاندهلوى هو إمام من أئمة الدعوة بعد أبيه، تولى أمرها بعلمه وتقواه وقدرته على نشرها بالحكمة

والموعظة الحسنة، لا فى الهند وحدها، ولكن فى كثير من بلاد المسلمين، أعانه فى ذلك جماعة مختارة من كبار علماء الهند يجوبون الأقطار كمعلمين ودعاة مرشدين بأفعالهم وأقوالهم.

يطلب شاب آخر الكلمة، فيسمح له الشيخ قائلا :

— اتفضل.

لماذا سميت هذه الجماعة باسم التبليغ والدعوة ؟

الشيخ ابراهيم :

الاسم طابق مسماه، فهذه الجماعة تقوم على أمرين أساسيين: الأول هو تبليغ من لم تبلغه الدعوة الإسلامية وهدايته إلى الإسلام بالحجة البالغة والسماحة التى اكتسبها من سيرة الصحابة، وكثرة المجاهدة والذكر، أما الثانى فهو دعوة العاصين من المسلمين إلى الصلاة لأنها عماد الدين، ولأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، فإذا ما صلوا خشعت قلوبهم، وانكسرت شهواتهم، وضعف ميلهم إلى المعاصى فكفوا عنها بسهولة ويسر، وهذا دوركم يا شباب الدعوة يا مبلغين.

رأى الشيخ إبراهيم شاباً آخر يريد أن يتحدث فأذن له.

— يعنى احنا هنسافر يامولانا برة وندعو الناس للدخول فى الإسلام؟

الشيخ إبراهيم :

— إن شاء الله، ولكن في مرحلة قادمة، أما الآن فعليكم
بالعُصاة، ادعوهم للرجوع للمساجد وعدم ترك الصلاة.
يحين موعد أذان العشاء، فيرفع الأذان وينتهي الدرس

سور الصنائع

لا جديد، المشهد يتكرر كل يوم: (ليزا) يجلس فى نفس مكانه على قهوة (وزة)، ويطلب من (حمادة) الشاى بصوت منخفض لا يسمعه إلا هو، وحمادة يتأخر فيضربه (ليزا) وكأنه يعتمد خفض صوته كى لا يسمعه ليضربه، ويأتى المعلم (وزة) فينهر (حمادة) ويجبره على إحضار الشاى لليزا الذى يشعر بالراحة بعد ضربه لحمادة القهوجى.

يأخذ (ليزا) الشاى من (حمادة) وهو يشير إلى شابين جالسين على القهوة :

— مين دول ؟!

— زباين.

— شكلهم مش من المنطقة.

— أيوة يا كبير.

— لا يكون فيه عوق ؟!

— عوق إزاي يعنى ؟!

— يكونوا حرامية، وعاوزين يسرقوا حد من حارتنا،
ويعلموا علينا، اعرف لى قرارهم.

يذهب (حمادة) لقطعة الأرض المقابلة للقهوة، والتي
يجلس فيها الشaban :

— أى خدمة يا أساتذة ؟ شكلكم مش من المنطقة، أى
حاجة أنا ممكن استقضيها لكم، مزاج وخلافه.

انزعج الشaban، وقال أحدهما :

— إيه ياعم صلى على النبى، احنا طلبة فى الثانوية
العامة وبنأخذ درس فى السنتر اللى هنا على الناصية،
وقلنا نشرب شاي لحد ميعاد الحصة.

— طب أجيب إيه للبشاوات ؟

— اتنين شاي.

عاد (حمادة) ليبلغ (ليزا) بالمعلومات التى حصل عليها
عساه أن يرضى عنه ويكف عن ضربه بدون أسباب.

— طلبة وزى الفل، وماشييين بعد شوية، عندهم حصة فى
السنتر اللى على الناصية.

— دول مش شكل طلبة، دول عمالين يبصوا على الحريم
والبنات، ومانزلوش عينهم حتى وانت واقف معاهم
وبتكلمهم يا دغوف.

- واللّٰه ما اخدت بالى.
- ظل الشابان على القهوة حتى مرت (أمل) فوقف أحدهما قائلاً:
- الجمال ده كله فى الحتة المعفنة دى؟!
- فجذبه صديقه قائلاً :
- اقعد هتودينا فى داهية... الناس هنا ممكن يموتونا.
- يموتونا، أنا قتييل الجمال ده، معقولة دى ساكنة هنا؟!
- إزاي؟ شفت عيونها عاملة إزاي ؟ ولا جسمها، ولا شعرها، دى مافيهاش غلطة.
- انطلق الشاب خلفها وزميله يحاول اللحاق به حتى لحقا بها أمام شارع الرشيد - وهو شارع كبير بعد سور الصنائع وشارع السودان - استوقفها المعجب قائلاً:
- لو سمحتِ يا آنسة.
- خير إن شاء الله؟!
- هو انت كدا بحق وحقيق ؟!
- باين عليك عيل وسخ وعاوز تتضرب بالشبشب.
- تأديبه علىّ أنا، عنك انت يا أبلة.

قالها (ليزا) وهو يفتح مطواته التى ألقت الرعب بصوتها
في قلبيهما، فجرى الأول وتسمر الثانى فى مكانه.

— يعنى انت مش خايف ؟!

— منك انت ؟!

استخدم (ليزا) مطواته باحترافية، وكتب بها على وجهه
رقم ١١ قائلا :

— عشان تفضل طول عمرك فاكر (ليزا).

صرخ الشاب :

— دم.. يا اما !!!

وجرى والدماء تسيل من وجهه.

أعطى (ليزا) ظهره لأمل، وعاد إلى القهوة دون أن ينظر
إليها أو يحاول التعرف عليها كسائر الشباب، إنها جميلة
جداً وهو الآن يملك فرصة ذهبية للتقرب منها.

انتابت (أمل) حالة من الخوف والرعب فعادت إلى المنزل
مهرولة، دخلت الشقة، وأغلقت الباب بإحكام، ووضعت
الكرسى خلف الباب، ثم دخلت غرفتها، وأغلقت الباب
بالمفتاح ونامت فى سريرها وغطت وجهها بالبطانية.

ظلت على هذه الحالة حتى اليوم التالى، رن جرس
الباب، فخرجت (أمل) قائلة :

- مبین؟
- هو فيه حد بیسأل علیک ولا یعبرک غیری؟
- فتحت لها الباب قائلة :
- ادخلی.
- مالک ؟!
- قالتها صفاء وهی تتفحص وجه (أمل).
- مافیش حاجة.
- انت متغیره، هو احنا بنخبی حاجة عن بعض ؟!
- صدقیني مافیش حاجة.
- الناس مالهمش سیره غیر (لیزا) واللی عمله عشانک،
شکله شغل بالک.
- انت عبیطة! ده مجرم، هو أنا ممکن أحب واحد
مجرم؟!
- ده مش مجرم، ده بطل، عرض نفسه للخطر عشان
یحیمیک، ماتعرفیش الاتنین دول کان ممکن یعملوا إیه ؟
ده فيه سبرای یترش فی وش الواحدة ماتفوقش إلا بعد
مایکونوا خلصوا کل حاجة وانبسطوا.

— والله انت بنت شمال، وكل دماغك فى الحاجات دى،
ونفسك أصلا تتخطفى عشان تدوقى وتقولى غصب عنى.

قالت صفاء بدلع :

— ومين سمعك يا أختى، بس فين؟! هو فيه دي الوقت
رجال بتخطف وتغتصب؟! الكلام دا فى الأفلام، طب
ما أنا أهو ونفسى حد يخطفنى ومستعدة لحفلة جماعية.
وتنفجر ضاحكة، فتضحك (أمل) قائلة :

— والله العظيم انت بنت مجنونة، فيه حد كدا فى
الدنيا؟!!

— الجنان هو إنك تسيبى شاب جميل، طول، وعرض
وشجاع وغنى، عرض حياته للخطر عشانك من غير
ما تشكره .

— هو أنا هاشوفه فين يعنى؟

— زى ماشفتيه المرة اللى فاتت أكيد هتشوفيه تانى،
ومادام عمل كدا عشانك، يبقى معجب بيك، وأكيد
هيحاول يكلمك، وبعدين دا صاحب البيت اللى قدامك
على طول، والأستوديو بتاعه بابيه قدام باب بيتكم.

قالت صفاء هذه الكلمات وهى تقف أمام المرأة، تمشط
شعرها وتنظر إلى ملابسها.

— أنا رايحة الكوافير، ماتيحي معايا أعرفك على مدام
عبير، أنا ممكن أشغلك معاها فى الكوافير، دا انت
شاطرة وأكيد هى مش هتسيبك.

— هى قالت لك إنها عاوزة حد؟

— سمعتها الشهر اللي فات وأنا عندها بتقول إن البنت
اللى كانت عندها اتجوزت وجوزها منعها من الشغل .

— ياريت ياصفاء، أحسن قعدة البيت مملّة قوى، وبينى
وبينكأبوى إيدك منه الأرض.

— بينى وبينك إيه؟ دا أبوكِ دا مفضوح، وكل الناس فى
سيرته.

— اتلمّى.

— اتلمينا ياستى، يلا بينا.

ارتدت (أمل) عباءة سوداء فوق ملابسها، وخرجت
بصحبة صفاء من شارع سور الصنائع فلمحت (ليزا) جالساً
على القهوة فأشارت إلى صفاء قائلة :

— هو دا.

— يا ابن الإيه ده مز على الآخر.

— حلال عليكِ.

— بس هو يرضى، باقول لك إيه روحى سلمى عليه واشكره.

— انتِ اتجننتِ، دا قاعد على القهوة.

— فيها إيه يامتخلفة؟! دا البنات دي الوقت بتقعد على القهاوى وبتشرب شيشة كمان.

— لا ياستى، يلا بينا نروح مشوارنا أحسن والله العظيم أرجع البيت، وأسيبك تروحي لوحدة.

— على إيه يلا بينا.

وصلت صفاء ومعها (أمل) إلى كوافير مدام (عبيير) التى بمجرد أن رأت (أمل) سحرت بجمالها، وظلت تنظر إليها قائلة:

— ماشاء الله، سبحان من صور، إزاي يا (صفاء) تخبى عنى صاحبك القمر دى؟!

صفاء (بطريقة كوميدية): دى أقل حاجة عندى.

— ميرسى حضرتك اللى أجمل، ربنا يجبر بخاطرك، بس الحظ قليل قوى.

— اللى زيك تتأقل بالذهب .

صفاء تشعر بغرابة كلام عبيير فتبتسم ابتسامة خفية ثم تقول:

— إحم إحم، انت هتخليها كدا تتغر وماحدث يعرف
يكلّمها، عموما هي عايزة تشتغل هنا مكان صباح اللي
سابتك واتجوزت.

ردت (عبير) دون تردد:

— قوى قوى .. تنزل من بكرة، من دي الوقت لو حبت.

— متشكرة قوى يامدام.

خرجت أمل وصفاء من كوافير مدام (عبير) والضحكة
مرسومة على وجهيهما، وفى طريق العودة نظرت صفاء
على قهوة (وزة) وكأنها تبحث عن (ليزا)، أشارت لأمل
بيدها:

— استنينى هنا خمس دقائق.

— رايحة فين؟

— استنى بس.

دخلت صفاء قهوة (وزة) قاصدة (ليزا)، وبادرتة قائلة:

— ألف شكر يا أخويا، احنا مش عارفين نشرك إزاى،
انت طبعا مش عارفنى؟ أنا صفاء بنت خالة (أمل)
اللى ساكنة فى البيت اللى قصادكوا، واللى انت
أنقذتها من العيال اللى كانوا بيعاكسوها، هي نفسها
تشرك، بس هي بتتكسف وعمرها ما كلمت شبان .

تعمدت (أمل) أن تنادى على صفاء؛ كى تلفت نظر
(ليزا) إليها عندئذ قال (ليزا) موجهًا حديثه إلى أمل:

— خدى صاحبتك واتوكلى على الله، أنا ماعملتش غير
الواجب، وبنات المنطقة كلهم اخواتى وما ينفعش
الوقفة دى قدام القهوة.

— حاضر يا اخويا، فُتك بعافية.

عادت صفاء إلى (أمل) واصطحبتها إلى المنزل، التفتت
(أمل) كى تعرف إن كان (ليزا) ينظر إليها أم لا، فوجدته
غير مهتم، فانزعجت من عدم اهتمامه.

دخلت (أمل) و(صفاء) إلى الشقة، وقبل أن تخلع صفاء
الحذاء:

— يابنت المحظوظة، يابختك، واد مية مية، رجولة وأدب
وشهامة، دا انا كنت كأنى باتكلم مع المحافظ، وعلى
فكرة هو مش عاوز منك حاجة أصلا.

— ماهو دا اللى مجننى، كل واحد بيشوفنى بيقى نفسه
يخرج معايا أو حتى يتعرف علىّ إلا دا.

— اسمه (ليزا).

— ما انا عارفه، دا مشهور عندنا هنا، ساكن فى البيت
اللى قصادنا.

- فى البيت اللى قصادكوا وما اتكلمتوش؟
- انت عارفانى، أنا لا باحب أبص لحد ولا أعرف حد ولا حد بيعرفنى.
- ربحى نفسك، انت أصلا مش فى باله، يدى الحلق للى بلا ودان، دا لو شاور لى بس أجرى عليه وأدى له حنة دين بوسة فى نص الشارع، واللى مش عاجبه يطق.
- دا انت اللى مخك طق.
- تخرج صفاء وتغلق الباب قائلة :
- تصبحى على خير يا قمر.
- وانت من أهله.
- تخلد (أمل) إلى النوم فترى (ليزا) فى منامها، فارسا مغواراً يحملها فوق حصانه الأبيض .
- يا (أمل) هاتي لى كوباية مية.
- قالها صلاح لابنته وهو يكح وكأنه يحرمها من السعادة حتى فى أحلامها، فتستيقظ وتعطيه كوب الماء.
- ما تعملى لى كوباية شاي.
- هو انت جبت سكر، احنا لا عندنا شاي ولا سكر.
- وبعدين ؟

- أنا لقيت شغل، ورايحة دي الوقت، أول يوم النهارده .
- طب يلا أحسن تتاخري، ما تنسيش تجيبى الشاى
والسكر، باقول لك إيه، وعلبة سجائر لأبوكِ يابنتى
والنبي.
- حاضر .
- تذهب (أمل) إلى عملها الجديد، فاليوم أول أيامها فى
كوافير عبير، دخلت من الباب وفى رأسها حوارات كثيرة
(الحمد لله صاحب الشغل المرة دى ست، ومش هيبقى فيه
مشاكل، عموما ربنا يستر)
- تدخل (أمل) الكوافير فتستقبلها عبير بحفاوة بالغة.
- أهلا يا قمر، نورتِ مكانك.
- أهلاً بحضرتك، والله أنا حاسة إن انت زى أختى
وهنبقى أصحاب.
- هنبقى حبايب ياروحى.
- طبعاً طبعاً، أغير هدومى فين يامدام ؟ أنا جبت معايا
هدوم للشغل.
- أشارت لها عبير قاذلة :
- ورا الستارة دى، معلش يا حبيبتي المحل صغير، عموما
احنا ستات زى بعض ولا انت مكسوفة منى.

— لا أبداً.

بدأت (أمل) تخلع ملابسها حتى ظهر شيء من صدرها، نظرت إليها عبير نظرة تموج بالشهوة وكأنها رجل، فاضطربت وخافت وأعدت البلوزة مرة أخرى وقالت :

— أنا هاشتغل بلبسى دا، هو أنا كل يوم هاغير؟ والمحل قريب من البيت، ما فيهاش حاجة لما اروح وآجى بهدوم الشغل.

قالت ذلك وكأنها تبرر قرارها بعدم خلع ملابسها: إدينى عدة النظافة يامدام، دا المحل بقى له كتير ما اتنصفش.

— آه يا حبيبتي بقى له كتير (وهى تنظر إلى صدرها).

(أمل) تشعر بالريبة من تصرفات عبير وتشك في الأمر ولكنها تراجع نفسها... «لا لا مش ممكن».

انتهت (أمل) من عملها وتوجهت إلى عبير قائلة :

— أنا آسفة جداً يامدام، عارفة إن النهارده أول يوم وما يصحش أطلب فلوس، بس انا ظروفى صعبة، وأبوى راجل مريض وقاعد فى البيت.

— يا حبيبتي خدى اللى انتِ عاوزاه، وعليه بوسه.

— ألف شكر.

وناولتها عبير عشرين جنيها.

— انت كدا يا حبيبتي خدتى الفلوس بس لسه ما أخذتيش
البوسة. وقبلتها قبلة مليئة شهوة.

اضطربت (أمل)، وهربت فى زهول، وقالت فى نفسها
«لا.. هى ست طيبة وبتحببنى زى أختها».

عادت (أمل) من نفس الطريق، فهو الطريق الوحيد،
سور الصنايع، نظرت على قهوة (وزة) كى ترى (ليزا)
جالساً فى نفس المكان، نظرت إليه، فنظر إليها، وابتسما،
فهرولت فى سعادة إلى البيت.

أول مرة تحب ياقلبي

عادت (أمل) إلى منزلها فوجدت كل شيء قد تغير؛ فهذه هي أول مرة تشعر فيها أن البيت جميل، وأن أباهَا وسيم، وأنها في سعادة عاشت طول عمرها تبحث عنها، السر في بسمه (ليزا) التي غيرت شكل العالم وجملت كل شيء.

كان يصل إلى أذنها صوت عبدالحليم حافظ :

أول مرة تحب ياقلبي وأول يوم اتهمني .

ياما على نار الحب قالوا لي ولقيتها من الجنة.

أول مرة .. أول مرة ..

كانت (أمل) في غرفتها تسمع وتغنى معه .. جرس الباب يرن....

— مين؟

— صفاء.

— تعالى يا صافي.

— صافى ؟! هو إيه اللى حصل ؟! عبدالحليم، ورومانسية،
وصافى ؟

— مش عارفة إزاي الواحدة تعيش من غير ما تسمع
عبدالحليم ؟

(صفاء) ساخرة :

— لا والله؟ دا انت عمرك ماسمعتى غير حسن الأسمر.

(أمل) فى حالة هيام :

— عبدالحليم دا حاجة تانية خالص .

— واضح إنك وقعتِ على بوزك، الواد جامد وفتاك ابن
الذين، وشجيع، والنبي يارب تعترنى فى واحد زيه
أنا كمان.

— زيه مافيش.

— لا والله... وده من إمتى ؟!

— من يوم ما ربنا خلقنى وانا بادور عليه، رجولة ومش
عاوز حاجة، كامل، تحسى معاه بالأمان.

— يا عَقد! عشان ماعبركيش وإداك بالجزمة، صحيح القط
بيحب خناقه.

— لا والله أنا حبيته عشان راجل وهيحمينى، وانت شوفت أبوي اللي عمره ماخاف على ولا حمانى من عيون أصحابه اللي بيحششوا معاه كل ليلة، (ليزا) هو أبوى اللي هاعيش معاه وفى حمايته، باحبه يا صافى، باحبه قوى.

— هو انتوا اتكلمتوا؟

— لا .. لسه.

— آمال إيه اللي حصل؟

— زى ما باقول لك كدا.. حلمت بيه بينقذنى وخذنى على الحصان بتاعه.

— وخذك قدامه ولا وراه، حاولى تفتكرى، عشان المكان هيفرق معانا كتير قوى (وهى تضحك).

— انت دايماً مركزة فى السفالة، ربنا يهديك ياتافهة.

صفاء و(أمل) يضحكان ضحكاً متواصلًا بصوت عال.

— هو فاتحك فى الجواز؟

— يا بنى جهل قلت لك ما اتكلمناش أصلاً.

— ماتشوفى يا بنت العبيطة ليكون بيحب واحدة تانية وانت عايشة فى الوهم.

(أمل) يبدو على وجهها القلق والخوف :

- إن شاء الله هيكون من نصيبى، أنا مش هاقدر أعيش فى الدنيا الصعبة دى من غير قلب (ليزا) ودراعه اللى هيحمينى من الطمعانيين فىّ ومش سايبينى فى كل حنة أروح فيها.
- ربنا يجعله من حدّك ومن نصيبك يا حبيبتي، ما قلتليش علمت إيه فى الشغل، ومدام عبير كويسة معاك؟
- والله يا صافى مش عارفة أقول لك إيه، هى ست طيبة، اتغدينا سوا، وجابت لى حاجة ساقعة، واديتنى عشرين جنيه تحت الحساب وأنا ماشية، بس برضه مش مستريحة لها، فيها حاجة غلط، نظراتها مرببة.
- مرببة إزاي يعنى؟ عاوزه تتجوزك هى كمان؟!
- انت بتقولى فيها؟! بتبص لى بشهوة كأنها راجل وعاوزه منى حاجة.
- يا حبيبتي أكيد بيتهيأ لك من كتر اللى اتعرضت له فى حياتك من الطمعانيين فيك.
- عموماً أنا هاروح بكرة، واللى النهارده بفلوس بكرة يبقى ببلاش.
- قالتها (أمل) وهى تريد أن تنهى الحوار كى تعود لعبد الحليم وتعيش فى الرومانسية الجميلة.

- أسيبك مع عبدالحليم، تصبحى على خير يا قمر.
- وانت من أهله يا صافى.
- (صفاء) تترك (أمل) لعبدالحليم حافظ وتعود إلى منزلها،
ولما مرت من أمام القهوة فخطر ببالها فكرة :
- «والله يا (أمل) يا حبيبتي لأجيب لك قرار سى (ليزا)
الليلة دى».
- دخلت القهوة فوجدت (ليزا) جالسا :
- مساء الخير يا أخويا.
- مساء النور.
- أنا صفاء بنت خالة أمل، وأنا جاية لك من نفسى.
- الكلام مش هينفع هنا على القهوة.. اسبقينى.
- حاضر.
- ويمشى (ليزا) فيسبقها بخطى واثقة، وهى تمشى خلفه.
- أؤمرينى يا أبلة صفاء.
- ما يؤمرش عليك ظالم، أنا جاية أسألك سؤال واحد.
- اتفضلى.
- انت متجوز أو خاطب ؟

- دى حاجة ما تخصصكيش.
- أنا عارفة إنه ما يخصنيش بس يخص ناس تخصصنى.
- (أمل)؟
- أيوة.
- أنا اللي هأقول لها، بس انتِ متأكدة إن هى عاوزانى.
- آه وحياة ربنا بتحبك قوى.
- أنا هاتصرف.
- ترجع صفاء لـ (أمل) مرة أخرى لتخبرها بما حدث :
- افتحى الباب.. افتحى ياعروسة (وهى ترن الجرس)،
فتجرى (أمل) وتفتح الباب بسرعة :
- إيه الحكاية ؟!
- طلع مش متجوز ولا مرتبط .
- (أمل) والسعادة ترقص فى عينيها :
- إيه عرفك؟
- أنا سألته.
- يابنت المجنونة.
- وقال لى أنا هاكلّمها بنفسى.

جرس الباب يرن .. (صفاء) و(أمل) :

— أكيد هو.

(أمل) تتقدم لفتح الباب :

— مين ؟

— أنا (ليزا)

— دقيقة واحدة حاضر.

— ماتفتحيش الباب، فيه كلمتين عاوز أقولهم لك وكلمة
عاوز أسمعها منك.

(أمل) وقلبها يرقص من السعادة :

— اتفضل.

— لو أنا طلبتك للجواز توافقي؟

فتهز رأسها بالموافقة.

صفاء بصوت منخفض جدا :

— انطقي هو شايفك؟!

— أيوة.

— مبروك.. أنا هاتصرف مع عم (صلاح).

تختفي حركات أقدام ليذا من أذنهما فتقول صفاء :

- ألف مبروك يا حبيبتي، والله ما هاسيبك من غير ما
آخذ الحلاوة.
- ربنا يخليك ليّ، من غيرك ما كنتش هافرح أبدا.
- ربنا يسعدك يا اختي.

لقاء الثلاثاء

«إسلامية إسلامية، رغم أنف الصهيونية»، أمواج بيضاء، آلاف البشر فى مسيرة تتجه إلى البصراوى (إحدى عشوائيات إمبابة) لمقابلة الشيخ (جابر) فى لقاء الثلاثاء، البصراوى تتحول إلى مزار أسبوعى يوم الثلاثاء، الكل يلتف حول الشيخ (جابر)، السلفيون يعتبرونه رمزاً لدولة يحلمون بها تخلصهم من الظلم والفقر الذى ساد البلاد؛ لبعد الناس عن شريعة رب الناس، الشباب يخرجون بملابسهم البيضاء من مناطق متعددة بإمبابة، عمارة البواب، والشجرة، وطريق بشتيل، وعزبة الصعايدة وشارع الطنانى، كل النساء والرجال يحلمون بجمهورية إمبابة السلفية التى سيطبق فيها شرع الله، الرجال يلبسون العمامات البيضاء، والنساء يلبسن الخمار الأبيض، والشيخ (جابر) فى منزله ينتظر الجموع ومعه الشيخ حسن صديقه ونائبه وكاتم سره، سألته (جابر):

- الجماعة بتوع إذاعة لندن جم؟
- على وصول يا مولانا.
- خليفهم يدخلوا على طول أول ما يوصلوا.

— حاضر.. بس انا شايف - بعد إذنكم - إن الحديث مع الإذاعات الأجنبية هيجيب وراه وجع دماغ ومشاكل ما لهاش أول ولا آخر.

— إزاي ؟

— احنا كدا بنتحدى الحكومة.

— احنا معانا الناس.

— كلامك الأخير عن الانفصال معناه إننا بنقوم بأكبر عملية انتحار جماعى فى التاريخ.

— ما تخافش يا حسن، طول ما معانا الناس ربنا هينصرنا بيهم إن شاء الله.

— انت هتقول نفس الكلام لإذاعة لندن ؟

— طبعاً، مش هاغير كلامى، نريد الانفصال عن مصر وإعلان جمهورية إمبابة الإسلامية السلفية، وإذا تعذر ذلك، سنطبق النظام الفيدرالى، ويكون لدينا حكم ذاتى.

بدأ (جابر) يتحدث بالفصحى كأنه يحفظ كلمات يرددها، فيتجاوب معه حسن ويرد عليه بالفصحى أيضاً، فقد كانا حريصين على التحدث بها عندما يكون بينهما ثالث حيث لا ينطقان بالعامية إلا عندما يكونان وحدهما، لكن حسن مازال على موقفه :

- هذا الأمر جد خطير .
- قل لى بالله عليك ماذا فعلت لنا الحكومة؟ تأخذ منا الضرائب، ثم تغلق لنا المحلات، وتهدم بيوتنا كل يوم باللودرات والكرافات بحجة أنها مبنية على أرض زراعية، وهى تعرف أنها ليست زراعية، ولكن لابد من دفع الرشاوى لاستخراج ورقة تفيد بأنها أرض صالحة للبناء، وثمنها باهظ لانستطيع دفعه أبداً، هؤلاء ظلمة، لا علاج، لا عمل، لا سكن، غير مسموح لنا أن نفتح محلاً ونعمل فيه، أو أن نترك دون دفع الجبايات لموظف الحى ليوافق على بناء غرفة نبيها فى بيتنا لأحد أبنائنا، هم يريدون تركيعنا وإذلالنا كما يفعل المستعمرون فى الشعوب، هؤلاء كفار ولا بد أن نستقل عنهم.
- الأمر ليس بهذه البساطة، أنت بهذه الطريقة تحارب الدولة التى تملك القوة وتستطيع أن تبيد المنطقة بسكانها فى دقائق.
- لذا نتحدث مع العالم لنضع المجتمع الدولى فى الصورة.
- يا صديقى، أنا لا أعرف كيف انشقت عن الشيخ (إبراهيم عزت) ؟ كيف نسيت مبادئ التبليغ والدعوة؟ ومتى تأثرت بهذه الأفكار مع أنك لا تحب العنف؟ وكنت دائماً تقول إن علينا أن نجاهد بالكلمة، وقد نجحت، وجمعت كل هذه الجموع بالحسنى بعيداً عن الصدام مع الحكومة.

— الآن الوضع قد اختلف، فمعنا الناس والأرض، سائر ضواحي إمبابة ومراكزها معنا والحمد لله.

— سمعت أن الشيخ إبراهيم عزت يستنكر ما تفعل ويدعو الله لك بالهداية.

— أية هداية، هذا رجل يعمل مع الحكومة، ويحرم الخروج على الحاكم، ويسمى الحرية فتنة، بالله عليك هل سيرى الإسلام عزا على يد هؤلاء ؟

— الشيخ (إبراهيم) يحقن دماء المسلمين، وغايته نبيلة، فلقد عرفتهم عن قرب وخرجت معهم، فما رأيت منهم ما يخالف كتاباً ولا سنة، بل تعلمت منهم ما لم أكن أجده إلا عندهم.

— الذى ينفردون به هو الخنوع والضعف والخضوع للحكام ؟

— هم قوم يكثرون من قراءة القرآن والذكر المشروع، ويطعمون الصلاة فى المساجد ولا تكاد تجد رجلاً منهم يتخلف عن صلاة الجماعة ولا يخوضون فى أعراض الناس ولا يتكلمون إلا بخير.

أحس (جابر) بأن حسن يقصده هو فسأله :

ماذا تقصد يا صاحبي؟ وعمن تتكلم ؟

— لا أقصد الإساءة، ولكن هؤلاء يبتعدون عن كل شئ يمكن أن يفرق المسلمين مثل الخلافات المذهبية، حتى تظل قلوبهم مؤتلفة على طاعة الله ورسوله، وقد رأيتهم يحبون العلماء ويجلونهم الإجلال كله، ومن آدابهم في توقير العلماء خفض الصوت في مجالسهم، وحُسن الإنصات إليهم، والتفاني في خدمتهم، والتغاضي عن هفواتهم وزلاتهم، وطلب الدعاء منهم، وما رأيت قوماً أطوع إلى العلماء العاملين منهم.

بدأت مظاهر الضيق تبدو على وجه (جابر) مما يقوله صاحبه، فقد كان مجرد شخص عادي حين كان يخرج في سبيل الله مع جماعة التبليغ والدعوة، أما الآن فقد صار أميراً، لذلك بادر صاحبه بالسؤال:

— وكيف نصلى ونقرأ القرآن ونترك الكافرين يقهرون المؤمنين في كل مكان؟ وكيف يأتي النصر دون سعي لتحقيقه؟

— هم قوم لا يتكلمون في السياسة، ولا يحومون حولها، ولا يتكلمون في المشكلات الاجتماعية إلا بقدر ما تقتضيه الضرورة، ومبلغ همam طلب الآخرة مع الاحتفاظ بنصيبهم من الدنيا.

— ونحن كذلك يا صاحبي، ولكن بعزة وكرامة سنواجه أعداءنا طلباً للآخرة، وكى نحفظ نصيبنا من الدنيا.

فى هذا الوقت تدخل المذبةة الإنءلىزفة لمقر الشفء
(ءابر) ومعه الشفء (مراد) الذى فقوم بالترءمة؁ وبادر
(مراد) بفالقاء السلام:

— السلام فلفكم ورحمة الله وبركاته.

— وفلفكم السلام أءى مراد.

— السفة (كافرفن) عندها بعض الأسئلة ونحن جاهزون
للءوار فامولانا.

— فوكل على الله فأنا جاهز.

— هل مافرد عن أنكم فرفدون الانفصال عن ءمهورفة
مصر العربفة صءفء؟

— نعم وقد وعدنا الله بالنصر.

— كل الظروف المءفطة فءعل هذا مسءفلاً؁ فلفس لكم
ءدود معترف بها دولفاً وأنتم مءاطون بءمهورفة مصر
من كل اءءاه؁ ومساحة الإمارة صءفرة ءداً وعدد
سكانها أفضاً صءفر ءداً؁ ولا فملكون إلا مءاراً واءداً
ولم فءكموا قبضفكم فلفه ءفى الآن؁ وعندكم بعض
المفلشفاة الصءفرة الفى لا فسطففع أن فواجه ءفش
دولة كبفرة وقءفمة فى المنطفة.

ءابر (بكل فباء وفققف):

— نستطيع.. بسم الله الرحمن الرحيم «فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ
وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ
وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا اللَّهِ كَمْ مِّن فِئَةٍ
قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ»

صدق الله العظيم

— معظم سكان المنطقة ليسوا معكم، والأقباط منزعجون.

— الناس معنا بفضل الله وسينصرنا الله بهم، أما الأقباط
فههم أصلاً من شبرا ومارى جرجس، وعليهم أن يعودوا،
سيكون هذا أفضل لهم ولنا.

— متى ستعلن انفصالك وإقامة دولتك؟

— قريباً بإذن الله.

فقال حسن :

— نشكركم، فقد انتهى المؤتمر الصحفى والشيخ سيذهب
للصلاة.

انصرف (مراد) و(كاترين) وغادر (جابر) وحسن الصلاة
ودخلا الغرفة والناس مازالوا يتوافدون للقاء الثلاثاء، وقد
اندس بينهم (ليزا) وقيادة و أشرف ورجال المعلم (جلهوم)
حسب الخطة.

قال قيادة مخاطباً (ليزا): إيه الخلق دى كلها؟!

ليزا: دول ناس طيبين بتوع ربنا، مش زيك.

أشرف: ولا بتوع ربنا ولا حاجة، دى سبوبة ياعم الحاج، ربنا يوفقهم ويوفقنا فى المصلحة اللى هنقضيها.

يتظاهر قيادة بأنه شيخ : موفقين يا أخى إن شاء الله ويضحك (ليزا) وقيادة و أشرف.

يتقدم (ليزا) ومعه رفاقه فى شارع المطار حتى يصلوا إلى سكة الصوامع ، كل شئ على مايرام، ولكن القطار لم يأت بعد.

ليزا: الناس عمالة تعدى والقطر ما جاش.

أشرف: زمانه جاي، أنا ظابط كل حاجة، وباشوف المنظر دا كل أسبوع.

قيادة: الناس بتعدى وأعدادهم بتقل، وحتى لو القطر جه مش هيهدى.

ليزا: انسوا الموضوع دا، القطر سرعته بطيئة جداً فى كل الأحوال، وأنا بعون الله هاتصرف.

يعبر أنصار الشيخ (جابر) سكة الصوامع ويدخلون إلى شارع البوهى، (ليزا) ورفاقه يجلسون على قضبان السكة الحديد، ينتظرون القطار ومعهم رجال المعلم (جلهوم) وكل واحد منهم يركب سيارة نقل.

تمر الساعات كأنها سنين، وبعد مرور ثلاث ساعات
ظهر القطار بطيئاً جداً كأنه شعبان يزحف.

نظر (ليزا) لأصحابه والقطار يقترب، قفز، أمسك بحديد
كابينة قيادة القطار فرآه السائق الذى أوقف القطار فوراً ولأذ
بالفرار، (ليزا) يشير لرفاقه كى يصعدوا ويحملوا الغلال.

أشرف: مية مية يا (ليزا).

قيادة: معلم .

حمل رجال المعلم (جلهوم) الغلال، وكأنهم يلعبون
مباراة كرة قدم، والناس يشاهدونهم ولايتدخلون، بل ومنهم
من يؤيدهم.

كل الناس هنا يكرهون الحكومة ويتمنون لها كل شر،
ويقولون: دى بلد الباشوات وليس لنا مكان فيها، لا عمل،
لا سكن، لا علاج .

ركب (ليزا) ورفاقه السيارات المحملة بالغلال، والناس
يهللون لهم: «تسلم إيديكم»، «ربنا ينصركم على الظلمة»،
ووصلوا مخازن (جلهوم) الذى أعطى لهم المبلغ المتفق
عليه، ألفين عن كل حمولة فصار المبلغ المستحق عن ست
حمولات اثنى عشر ألفاً.

— مرضى يا أشرف؟

قالها المعلم (جلهوم) وهو يعطيه المبلغ.

أجابه أشرف : مرضى.

أخذ أشرف المبلغ كاملاً من (جلهوم) وأعطاه لـ (ليزا)
تقديرًا لدوره فى العملية قائلاً:

— قسّم يا كبير.

ليزا: كلنا قد بعض، أربع تلاف لكل واحد.

قيادة: على البركة.

أشرف: على البركة.

كوافير عبير

استيقظت (أمل) من نومها مبكرة، واستعدت للذهاب للعمل بعدما بددت صفاء شوكها تجاه مدام عبير، وبمجرد وصولها الكوافير قابلتها عبير بحفاوة بالغة.

بدأت (أمل) فى تجهيز المعدات والأدوات، كى يكون المحل جاهزا لاستقبال الزبائن.

أذن العصر ولم تدخل زبونة واحدة الكوافير مما أصاب (أمل) بالإحباط، ماذا ستقول عنها عبير، أكيد ستتشاءم منها، لذلك سارعت (أمل) إلى السؤال :

— هما الزباين بيحوا إمتى يامدام؟

— ماتشغليش نفسك.

— أنا خايقة بس لتقولى إن وشى وحش عليك.

— وشك ؟! دا انتِ قمر، أجمل واحدة شفتها فى حياتى، وشك حلو وجسمك حلو.

عاد القلق يساور (أمل) مرة أخرى :

- هو فيه حاجة يامدام؟! —
- أبداً يا حبيبتي، ماتيجى تساعدينى فى تنظيف الحوض
اللى جوه.
- من عينيّ حاضر.
- قالت لها (عبير) وهى تعطيها (تى شرت): طب اقلعى
هدومك والبسى البادى ده عشان هدومك ما تتبهدلش.
- لا يا مدام، ولا يهمك، الهدوم اللى أنا لبساها دى
قديمة، وأنا باشتغل بيها.
- ومشت فى اتجاه الحوض كى تنظفه ولكن عبير ظلت
تنظر لمؤخرتها وهى تمشى كأنها رجل ينظر بشهوة لامرأة.
- دخلت عبير خلفها، وجذبتها إليها قائلة: أنا باحبك
قوى، من ساعة ماشفتك وأنا مش على بعضى، انا
هاخليكى هانم، ومش هاضايقك أبدا، كل اللى نفسى فيه
إنك تسيبيني أحبك.
- ظلت (أمل) تسمع كلام عبير بذهول، تسمرت فى
مكانها، فأخذت عبير تعبت بصدرها، فأفاقت من ذهولها
وصفعتها على وجهها وغادرت الكوافير.
- مرت (أمل) أمام قهوة (وزة) فلمحها (ليزا) وهى تبكى،
فانتظر حتى تصل المنزل ثم لحق بها ورن الجرس.

(وهى تبكى): مين ؟

— ليزا، ماتفتحيش، وكلميني من ورا الباب.

— أيوة يا (ليزا)؟

— مالك ؟ هو فيه حد ضايقك؟!

— لا أبدا.

— خلى بالك انتِ هنا ملكة، ماينفعش حد يزعلك ولازم
تقوليلي مين زعلك، لأنى كدا هاطلع دى الوقت أضرب
كل الناس اللى فى الشارع، وكل الناس اللى فى شغلك،
لأن فيهم واحد زعلك.

سرت إلى نفس (أمل) موجة من الفرح، فظلت تستمع إلى
كلمات (ليزا) الذى حولت الحزن إلى فرحة والخوف إلى ثقة :

— ربنا يخليك لى، الحكاية كلها إنى طلبت سلفة والمدام
كسفتنى.

— كويس إنها جت منها، بصراحة موضوع الشغل دا
مايلزمنيش وانتِ ملزومة منى.

— لا، طبعا ماينفعش، انتِ يادوب مكلم بابا، حتى
الفاتحة لسه ما قرينهاش، يعنى لسة مش خطيبى.

— يعنى انتِ مش خطيبتي؟!

— لأ .. خطيبتك.

— يعنى انتِ مش حبيبتي؟!

بدأت السعادة ترقص فى عيني (أمل) :

— حبيبتك ومسئولة منك يا حبيبى ، ربنا بعثك لى ملاك
يرحمنى من العذاب اللى فى الدنيا دى (وتبكى) باحبك
قوى يا (ليزا) وتفتح الباب.

— لا يا (أمل) ما تفتحيش الباب ، لسه بدرى ، ربنا يقرب
البعيد ، هو عم صلاح ما قاليكيش؟

— على إيه ؟!

— احنا هنفتح استوديو (موناليزا) بتاع أبوى ، أنا اتفقت
مع عم عبدالله إنه يرجعه لى ، وهنفتحه أنا وعم صلاح
وانتِ تقفى فيه ، وبكدا ماحدش يقدر يجيب سيرتك
أبدا لأن أبوك هيكون معاك ، وهيكون شريكى فى المحل.

— هو أنتِ بتخاف على قوى كدا ياليزا ، خايف على من
كلام الناس ، وخايف على ، حتى من نفسك .

تدب فى نفسها جرأة مفاجئة وأشواق جارفة تفتح الباب
وتضمه إلى صدرها ، وكأنه تختبئ فى قلبه بحثاً عن الأمان.

يبعدها (ليزا) عنه برفق ويغلق الباب قائلاً :

— تصبحى على خير يا حبيبتي ، ربنا يقرب البعيد.

ترد (أمل) وهى فى حالة من الهيام:

— وانت من أهله يا حبيبى.

دخلت (أمل) السرير وكأنها فراشة محلقة تسمع أغنية
عبدالحليم حافظ، أول مرة تحب يا قلبى وأول يوم اتهنى،
وتغنى معه، حتى تنام، ولم تستيقظ إلا على صوت الباب.

— مين ؟

— أيوه طبعاً، بقى فيه حد غيرى بيسأل عنك؟

قالت صفاء.

— أهلاً صافى.

— لأ، دا الموضوع كبير قوى، صافى، بركاتك ياعم (ليزا).

— باحبه قوى قوى.

— إيه دا كله ؟!

— مش عارفة، قربت اتجنن من حبه، راجل قوى،
وبيخاف علىّ، ومحترم، مش عاوز منى حاجة، كل
هدفه فى الدنيا، يحافظ علىّ ويريحنى، هو فيه حد
فى الدنيا كدا، أنا حاسة إنى باحلم يا صافى، وباتمنى
من ربنا ما اصحاش من الحلم دا أبداً أبداً .

— ربنا يسعدك يا حبيبتي كمان وكمان، ماقولتيليش إيه أخبار الشغل؟

تغير لون وجه (أمل) وانطفأت سعادتها:

— مش قلت لك الولية دي مجنونة، عاوزانى، واللّه زى ما باقول لك كدا، كأنها راجل، أنا كنت حاسة من الأول بس انتِ اللى طمنتينى.

— يا شيخه، عملت لك إيه، بنت المجنونة دي؟

— قالت لى أنا باحبك وهنغنك وأديك فلوس كتير.

— طب وهى عندها فلوس كتير، غريبة مايبانش عليها.

— تغرينى بالفلوس عشان عارفة إن أنا محتاجة، وفاكرة إنى ممكن أطاوعها، عموما ربنا يشفيها، باقى لى ثلاثين جنيه عندها مش عاوزاهم تغور بيهم.

— يعنى انتِ كدا مش هتروحي تانى.

— انتِ اتجننتى، أروح فين؟!

— خلاص حلال على العروسة.

— بتقولى إيه؟

— حلال على الثلاثين جنيه، هاروح آخذهم من عينيها.

وانطلقت صفاء حتى وصلت كوافير عبير ودخلت وما
إن وقعت عينها في عيني عبير حتى افترستها بعينيها،
وأخذت تحضنها وتقبلها وتعبث في جسدها كله، لم تترك
جزءاً منه إلا ومررت يدها عليه وهي تقول :

— لما انتِ عاوزه تتبسطي جايه لأمل الغلبانة، أنا اللي ها
اظبطك، وأغلقت باب الكوافير، وجردتها من ملابسها
وظلت في حضنها لأكثر من ساعة، ثم سألتها :

— إيه رأيك ياعبورة، اتبستطي؟

— آه، قوى.

— طب ممكن بقى تشوفيلي ميتين جنيه عشان اتبسط أنا
كمان؟

— من عيني حاضر.

— وممكن التلاتين جنيه بتوع أمل، عشان أنا اديتهم
لها، لأن الموضوع في وشى.

— حاضر، أهم .

— ما تخافيش أبدا سرك في بير، أنا هاروقك وهاجيب
لك بنات على مزاجك وبابخت من نفع واستنفع.

— ربنا يخليك يا صافى، ياريتنى قلت لك من زمان.

— ولو ليك شوق من الرجالة أجيب لك برضه.

— قطعوا، أنا باحب البنات قوى خصوصاً الصغيرين،
ألمس الواحدة منهم أتكهرب، أحضنها، أبوسها، وهى
تعمل فى زى ماهى عاوزه.

— دا انتِ صاحبة مزاج بقى؟!

— ماتعرفيش النار اللى أنا فيها، اتجوزت مرتين، وفشلت
فى المرتين، وعمرى ما حسيت بأى راجل أو اشتقت
له، حاسة إن جواى راجل وباحب البنات الصغيرين
بالذات اللى وشهم جميل أحضنهم وأبوسهم.

— ودا من إيه؟! لوحدك كدا، ولا عرفتِ راجل مقرف
كرهك فى الرجالة؟

— بالعكس، الجوازتين كانوا زى الفل، شباب، وجمال،
ونظافة، وكانوا شغالين معايا هنا، واحد مشى والتانى
جه واتجوزنا، كنا بنخرج ونتفسح ونتعشى سوا
ونضحك وكله تمام وأول ما ندخل السرير ابقى مش
طايقاه، ومش قادرة اتجاوب أبدا، باحس إنى أنا
راجل، ومحتاجة دايماً لبنت جميلة جانبى.

لم يظهر على صفاء أى مظهر من مظاهر الدهشة، فكل
شئ فى الدنيا أصبح عادياً بعد ما رأت من والدها مارأت:

— غريبة دى والله، وأول مرة حسيتِ بالإحساس دا إمتى؟

— وانا صغيرة كانت أختى الكبيرة سعاد زى القمر، أحلى

منى بكتير، شبه (أمل) كدا، بابا جوزها لواحد سعودى
مقيم فى السعودية وبيجى لها اسبوع واحد كل سنة،
وهى فى عز شبابها، اتنين وعشرين سنة، وكنت
وقتها صغيرة، ستاشر سنة، كانت عايشة معانا فى
البيت وما بتروحش شقتها إلا أسبوع واحد فى السنة.

— دا إيه العيشة المرة دى ؟!

— بدأت الحكاية فى يوم عمري ما هاقدر أنساه أبدا، بابا
كان فى الشغل، وكنت داخله استحمى، قالت لى سعاد:
تعالى أدعك لك ضهرك، ولا تكونى مكسوفة منى ؟!، أنا
ياما حميتك وانتِ صغيرة، زى ماكانت ماما بتحمينى.
وافقت، وبدأت تحمينى، وكانت أول مرة فى حياتى
حد يشوفنى وأنا عريانة سواء راجل أو ست .

سألتها (صفاء) باهتمام:

— وبعدين إيه اللي حصل؟

— بدأت تحسس على جسمى وتحرك إيديها فى كل حقة.

— وانتِ عملتِ إيه ؟

— بينى وبينك، خفت فى الأول، وبعد دقائق حسيت
بلذة رهيبة، سبتها تعمل زى ماهى عاوزه، وعملت
نفسى مش فاهمة.

— هى فضلت فاهمة إن انت مش فاهمة؟ إيه يابنتى
الأفلام دى؟!!

— ما انا ها اقول لك أهو، فى يوم دخلت عليها لقيتها
عريانة مع نفسها، فخرجت وجريت، خرجت ورايا،
وقالت لى : اوعدينى، ورحمة ماما ماتقولى لبابا، ولا لأى
حد اللى شفتيه، أنا تعبانة، وغضب عنى، وجوزى
بقاله عشر شهور مسافر وسايبنى، وانا ما غلظتش،
مش أحسن ما أعرف راجل، وأفضح نفسى، وأضيع
شرفى وسمعتى، وسمعة جوزى وأبوى.

— بينى وبينك عندها حق.

— وساعتها اديتنى فلوس كثير، مش فاكرة عملت بيها
إيه، وقالت لى اتفقنا، قلت لها اتفقنا، فبصت لى باصه
جنننى ساعتها، وقالت لى وهى بتحسس على ضهرى:
ممکن تحمينى زى ماحميتك، قلت لها ماشى.

— طب وبعدين، إيه اللى حصل؟

— عشنا احنا الاتنين مع بعض، خمس سنين من أجمل
سنين عمرنا، وهى كانت سعيدة جدا، خصوصا إن بابا
كان صعب جداً، وكل شئ عنده كان ممنوع، وبالذات
الخروج من البيت، ماكانش فيه أى فرصة قدام سعاد
إنها تتعرف على راجل تانى مع انها بتحب الرجالة

قوى، مش زى، لحد ماجوزها قرر إنه ياخذها معاه
بعد وفاة مراته السعودية، وكنا فرحانيين، وقلنا ربنا
عوض صبرها خير، ساعتها ماكانش فى بالى أى
حاجة، لحد ما مر أسبوع، لقيت نفسى تعبانة جداً
ومحتاجة لها قوى .

— وعملتِ إيه؟

— اتصلت بيه، وعرفت إن هى كمان تعبانة من بعدى
عنها لدرجة إننا كنا بنريح بعض فى التليفون،
واتجوزت أنا بعدها مرتين، ولكن كل ما اشوف زبونة
وشها جميل أحسس على شعرها وأنا باشتغل وابقى
نفسى فيها، وياما حصلت لى مشاكل كتير.

— زى إيه؟

— أغلب الزباين مرتاحين ماديًا، وكانوا بيرفضوا، لكن لما
ألاقى وحدة جميلة وظروفها صعبة كنت باقدر أغريها
بالفلوس والهدايا لحد ماتوافق.

— زى ما كنتِ عاوزة تعملى مع (أمل) .

— دى قمر، لغاية دى الوقت هاتجنن عليها.

تقول لها صفاء وكانها تغنى : ما احنا كمان حلوين
قوى .. حلوين قوى .

- انتِ زى القمر يا حبيبتي، بس انتِ ماشاء الله هجمة
تخوفى، لو عملت معاك حاجة ممكن تضربينى، واموت
فى إيدك، ودا اللى بيخلينى ديمًا أنقى البنات الصغيرين.
- سيبى الموضوع دا علىّ يا قمر، أنا هاظبطك، بس انتِ
أهم حاجة تظبطينى بالفلوس.

راحت عبير تقبل صفاء قائلة : كنتِ فين من زمان ؟!

مهمة مقدسة

كانت ساحة المسجد مألئ بالمبلغين الذين فرغوا من صلاة العصر، ويتمون الإعداد للخروج في سبيل الله في منطقة إمبابة، حيث سيكون التجمع في مسجد الصحابة.

الشيخ (إبراهيم) يتحدث للأفواج الخارجة في سبيل الله :

— بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله، أيها الأحباب، المبلغون عن الله ورسوله، أنتم تقومون الآن بما كان يقوم به رسول الله وأصحابه، ولكي تنجحوا في مهمتكم الربانية، عليكم بصدق اليقين، ومن ثمراته الاعتماد على الله وحده، والثقة الكاملة بفضله، وحسن التوكل عليه من الأخذ بالأسباب المشروعة في تحصيل الأرزاق وقضاء الحاجات.

— الشيخ (عبدالمعظم): والنية يا مولانا، ماذا عن تصحيح النية؟

— تصحيح النية معناه مراقبة النفس ومحاسبتها أولاً بأول، وتعديل مسارها في الحياة، وردها إلى الله تبارك وتعالى

كلما غفلت عن ذكره وشكره وحسن عبادته ، حتى يصل بها إلى الأمن المنشود، الذى نبأنا الله عنه بقوله فى سورة الأنعام: «الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئكَ لهم الأمن وهم مهتدون».

انبرى أحد المبلغين يسأل الشيخ: وما معنى هذه الآية يا مولانا؟

— أى أولئكَ لهم الأمن من عذاب الله فى الدنيا والآخرة، والسعادة فى نعمة الأمن، والأمن يتبع الإيمان، بل هو منبعه ومصبه.

— إذن صدق اليقين وتصحيح النية هما الأصلان اللذان بنيت عليهما جماعة التبليغ والدعوة.

— بل اعتمدت الجماعة على أربعين أصلاً أهمهما صدق اليقين وتصحيح النية.

— وماذا عن الأصول الأخرى يا مولانا؟

— حسن الاقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم، وطلب العلم الموصول إلى الله تعالى، وبذله لمن يطلبه، وإقامة الصلاة فى المساجد بخشوع، وخضوع، وتمسك، وتواضع، وإكرام المسلمين جميعاً، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، وإصلاح ذات البين بالحكمة والموعظة الحسنة، والخروج فى سبيل الله لنشر الدعوة.

تدخل الشيخ (عبدالمنعم) قائلاً: جزاك الله عنا خيراً
يامولانا.

ثم أكمل الحديث مخاطباً المبلغين: وفى أثناء الخروج
عليكم بأربعة أشياء هى: الدعوة إلى الله، والعلم والتعلم،
والعبادة والذكر، وخدمة المسلمين.

الشيخ (إبراهيم): نعم، وعليكم الالتزام بأربعة أشياء: طاعة
الأمير، والعمل الجماعى، وآداب المساجد، والصبر والتحمل.

الشيخ (عبدالمنعم): نعم وعليكم الامتناع عن أربعة أشياء:
الإسراف، وسؤال غير الله، استعمال حاجة الغير إلا بإذنه،
والإشراف وهو يعنى تمنى ما عند الغير.

الشيخ (إبراهيم): وعليكم أن تقللوا من الطعام، والنام،
والكلام فى غير ذكر الله ووقت قضاء الحاجات.

ثم وقف الشيخ (إبراهيم) وقال بلهجة حماسية: هذه هى
جماعتكم، جماعة التبليغ والدعوة، وهذه هى الأصول التى
ستعتمدون عليها فى نشر دين الله وحمايته ونصرته وتطبيق
أحكامه وآدابه.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن
عبادته، وأن يلهمنا الرشد والسداد فى أقوالنا وأفعالنا،
إنه سميع قريب مجيب الدعوات، وصلى الله على سيدنا
محمد، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين.

انطلقت الجموع من مسجد أنس بن مالك فى طريقها إلى
حتى إمبابة، وكل مجموعة خصص لها مسجد للتجمع فيه.

الشيخ (رضوان) هو أمير الجماعة المكونة من أربعة
أفراد والمتجهة لسور الصنائع، وتجمعها سيكون فى مسجد
الصحابة فى الشارع نفسه.

و (رضوان) هو صاحب الوجه المضى، والبسمة الدائمة
التي لاتفارق وجهه أبداً، رجل نورانى مريح لكل من
يراه، عمامة بيضاء على رأسه، وجه أبيض ولحية سوداء
طويلة، وهو فى الأصل من هذه المنطقة، ويعرفه معظم
أصحاب المحال وهو يعرف أغلبهم.

اتجه الشيخ (رضوان) إلى سور الصنائع، وبدأ الجولة
بدخول محل الحاج (سليمان) الترزى.

— السلام عليكم يا حاج (سليمان)، انت فاكرنى ؟
— طبعا فاكرك يا شيخ (رضوان)، هو أنا أقدر أنسى الناس
الطيبين ؟!

— الله يخليك يا حبيبى، بارك الله فيك.

ثم أشار إلى أحد أفراد جماعته قائلاً:

— أخى الشيخ (محمود) عاوز يتكلم معاك لو تسمح ؟!

— أهلا وسهلا.

محمود: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

سليمان وكل الحضور: صلى الله عليه وسلم.

محمود: احنا عاوزينك معنا فى المسجد ياعم الحاج،
هنقرا ماتيسر من القرآن، ونسمع الدرس مع بعض بعد
صلاة المغرب، هنا قدامك، فى مسجد الصحابة .

سليمان: إن شاء الله يا ابنى، أنا معايا قميص بتاع زبون
باشطب فيه، قدامى ربع ساعة وأحصلكم على المسجد.

رضوان: فى انتظارك يامولانا .

ينطلق (رضوان) وجماعته فيصل إلى عم (بلال) الحلاق،
فيدخل المحل: السلام عليكم يا حاج (بلال).

بلال: وعليكم السلام يا شيخ (رضوان).

يقدم (رضوان) شاباً آخر من جماعته قائلاً:

— الشيخ سلامة عاوز يقول لك كلمتين ياعم (بلال).

بلال: أهلا وسهلا، تشربوا إيه الأول؟

رضوان: جزاك الله خيرا.

سلامة: احنا عاوزين نشرب من شهد الطاعة، الطاعة
طعمها حلو قوى، والصحبة الحلوة أجمل ما فى الدنيا
ياعم سلامة، ومرافقة الصالحين كنز كبير قوى.

بلال: معاك حق يا عم الشيخ.

سلامة: عاوزينك معنا فى المسجد، نقرا قرآن ونسمع
الدرس بعد المغرب.

بلال: توكلنا على الله يلا بينا.

خرج (بلال) معهم فأضاء وجه الشيخ (رضوان) وفرحت
جماعته.

رضوان: فى مسجد الصحابة اللي على الناصية.

بلال: أنا ماشى قدامكم أهو، ولما تخلصوا هاتلاقونى
مستنيكم فى الجامع، ربنا يوفقكم.

سلامة: بارك الله فيك يا عم (بلال)، فأنت فعلاً رجل
صالح.

بلال: الله يكرمكم ويوفقكم.

تنطلق الجماعة فتذهب إلى قهوة (وزة)، يدخل الشيخ
(رضوان) لشاب جالس فيحدثه قائلاً:

— السلام عليكم يا أخى، ممكن نتعرف على حضرتك ؟

يرد الشاب: (جمال).

رضوان: احنا معنا أخونا (إسماعيل) (يشير إلى أحد
أفراد مجموعته).

الشاب : عاوزين إيه يعنى؟

إسماعيل : إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره

الشاب مقاطعاً : هو أنت هتخطب ؟

رضوان يرد على الشاب : أخوك (إسماعيل) ببدا حديثه
بحمد الله كما أمرنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

جمال : باقول لك إيه ياعم انت وهو، غوروا من وشى
بدال ما اتغابى عليكم.

رضوان : لاحول ولا قوة الا بالله.

جمال : انت هتمشى انت وهو من هنا، ولا اخلى وشكم
شوارع؟

رضوان : لاحول ولا قوة إلا بالله.

اسماعيل : حسبي الله ونعم الوكيل.

انت بتحسبن علىّ، والله لاشرحك.

قالها (جمال) وهو يمسك باسماعيل ويهم كي يضربه.

جرى (حمادة) القهوجى على (ليزا) قائلاً:

— الحق ياعم (ليزا) ... (جمال) ابن المجنونة هيضرب
الشيوخ ويكسر القهوة.

انتفض (ليزا): فيه إيه (ياجمال)؟

جمال: مافيش ياعم الحلو، خليك فى حالك.

ثم وجه كلامه للمشايخ قائلاً: وانت ياعم انت وهو غوروا من هنا، ماتضيعوش الدماغ اللى احنا عاملينها.

صفع (ليزا) (جمال)، ثم ضربه فى وجهه بقبضة يده ضربة قوية، فسال الدم من فمه.

قال له صاحبه: إيه اللى انت قلتها دا يا (جمال)؟!، انت ماتعرفش دا مين؟!، دا (ليزا)، حد مايعرفش (ليزا)؟!!

ليزا: مش مهم (ليزا)، المهم يحترم الناس دول، دول ناس بتوع ربنا، دول أسيادنا، وفوق دماغنا، وليهم كل الاحترام.

ثم وجه كلامه لجمال: قوم بوس على راس عمك الشيخ وبوس إيده.

قال جمال وهو يقبل يد الشيخ الذى سحبها بسرعة: حقك على ياعم الشيخ .

انبهر الشيخ (رضوان) ب (ليزا)، وقال فى سره «اللهم أعز التبليغ والدعوة ب(ليزا)».

ليزا للشيخ (رضوان): أى حد يتعرض لكم قول لى يا مولانا.

قال (رضوان) وكأنه اتخذ قراراً بضم (ليزا) لجماعة التبليغ والدعوة:

— احنا عاوزينك انت معنا فى مسجد الصحابة يا أستاذ (ليزا).

فاجأهم (ليزا) وهو يمشى معهم قائلاً لهم: حاضر.

رضوان: بتعرف تقرا يا أستاذ (ليزا)؟ وحتى لو مابتعرفش كفاية إنك تسمع القرآن.

ليزا: إيه اللي بيخلي حضرتك تقول كدا؟! على فكرة ياشيخ (رضوان) أنا باقرا واكتب كويس، وعلى فكرة أبوى الله يرحمه كان جايب لى شيوخ وأنا صغير، وحافظ ثلاث أجراء وأنا عندى خمس سنين.

رضوان: ماشاء الله ... مين والدك؟

ليزا: (محمود) صاحب استديو (الموناليزا).

رضوان: الله يرحم والدك، كان راجل صالح ومحترم، أنا فاكرك وانت صغير، أبوك كان عاوز يطلعك عالم من علماء الدين، وجابك لى وانت صغير، وطلب منى أجيب له محفظ على ضمانت، وعرفته ساعتها على الشيخ (عطية) اللي كان بيحفظك.

ليزا: أيوه ... الشيخ (عطية) الله يرحمه هو اللي كان
بيحفظنى القرآن فى مسجد الصحابة.

رضوان: يعنى احنا ضيوف عندك فى مسجدك ياشيخ
(ليزا).

يدخل (ليزا) المسجد الذى تعلم فيه القرآن وهو صغير
حفظاً وتلاوة وأحكاماً حتى صار صوته العذب يبكى من
يسمعه .

توضاً وصلى ركعتين، وظل صامتاً مذهولاً كأنه فى حلم
جميل، صلى معهم المغرب وسمع الدرس ثم عاد إلى منزله،
وأغلق عليه الباب ونام وكأنه أبى أن يسمع أى كلام بعد ما
سمع ووصل إلى حالة من السعادة لا يريد أن يفقدها.

أحمد قيادة

لم يعرف أحد من المحيطين به عنه شيئاً، حتى هو،
لم يعرف شيئاً عن نفسه، من أين أتى ؟ من أبوه ؟ ومن
أمه ؟، الكل لا يعرف عنه إلا أنه أخ لعشرين نزيل فى ملجأ
لرعاية الأيتام.

قليل الكلام، منطو، عاش فى الملجأ حتى صار له سند
يحميه من بطش النزلاء، أشرف سعد، الذى أصبح السبب
الرئيس فى قدرة قيادة على التخلص من الخوف المرضى،
وشعوره الدائم أنه سيبطش به من أى شخص يحدثه أو
يتعامل معه دون أى أسباب، لذا لا يستطيع قيادة أن يعيش
بعيداً عن أشرف، وكأنه أبوه وأمّه، أشرف يميل دائماً
للعنف والشر، بينما ظل قيادة يكره الشر والعنف، ولكنه
لا يستطيع أن يرفض تنفيذ أوامر أشرف.

بادره أشرف بقوله :

— أما انا عندى ليك حتة دين مصلحة.

— إيه هى ؟ شكلك كدا هتودينا فى داهية.

- داهية ؟ طول عمرك بتمشى ورايا وبتكسب، تقدر تنكر؟
- قول بس، إيه هى المصلحة لاحسن الحالة تعبانة على الآخر.
- عملية مالتى سيستم، عملية فنية هادية ورايقة، وتعمل بمزاج، ومن غير شوشرة، بهدوء ونلم منها فلوس قد كدا (ويفتح يديه على آخرهما)
- من غير سلاح؟
- ولا نقطة دم واحدة.
- لايمنى عليها، إمتى وفين؟
- فيه سيما فى وسط البلد اسمها السلطان، هنركب الميكروباس من عمارة البواب وننزل أبو العلا، عارف الوكالة، قدامها على طول.
- هو احنا هنروح المصلحة ولا هنروح السيما؟!
- المصلحة فى قلب السيما.
- مصلحة إيه اللى جوه السيما؟ هنبيع بببسى، حاجة ساقعة، ونفضل ننادى طول النهار لحد مايتقطع نفسنا وتطلع عينينا وأخرتها يطلع لنا عشرين ملطوش بالكثير؟
- الصبر، وانا أفطمك على الدور كله، السيما دى ماليانة عيال شواذ.

- الله يقرئك، انت أكيد اتجننت.
- اسمع بس.
- أسمع إيه؟! عايزنا ندى للعيال دول وناخد منهم فلوس، ونصرفها على الدواء، ماتعرفش إن القرف دا بييجيب الإيدز؟ يعنى كل الأمراض يامعفن.
- أنت مش فاهمنى.
- لأ، أنا فاهمك كويس يا عبد الفلوس، ممكن تعمل أى حاجة وكل حاجة عشان الفلوس، وانا كل مرة باطوعك، بس المرة دى لأ.
- انت بتغنى وترد على نفسك، مين قال إن أنا ولا انت هنعمل حاجة زى دى؟
- انت.
- كل اللي هتعمله إنك هتوهم الواحد منهم إنك معجب بيه، وعاوزه، وهتعمل له كل حاجة نفسه فيها، بس المكان مش مناسب، وتجيبه ورا سور الصنايع، وانا على الباقي.
- هاتعمل له إيه؟ (قالها قيادة متوجساً).
- هاثبته واخذ منه الفلوس وأقلعه الساعة.

- الساعة بس؟ (وهو يضحك) باقول لك إيه؟ مدام أنا
مش هاعمل حاجة، ماتقوم بالعملية لوحدك.
- ماينفعش.
- ليه إن شاء الله؟
- شكلك طالب جامعى، وابن ناس، ماتخوفش، لكن أنا
الكام بشلة اللي فى وشى، مش هيخلوا أى حد يوافق
يروح معايا أى حنة.
- يكون فى علمك أنا هافضل لابس بنطلونى، ومش
هاقلعه أبدا ودا شرطى الوحيد.
- والله ما هتعمل أى حاجة غير اللي قلت لك عليه،
انت عليك تسلمه لى عند سور الصنايع، وأنا هاتصرف.
- اشمعنى دول بالذات؟! طب ماتاخذ أى حد من اللي
بيعدوا من عند سور الصنايع.
- بص ياغشيم، لما يكون الخروف بيعمل حاجة غلط
مابقدرش يفتح بقه، بيستسلم على طول ويطلع كل
اللى معاه، ويببقى هما الوحيد إنه يروح بس.
- يا ابن الذين!!

— یعنی واحد شاذ، وجای معاك عشان يعمل حاجة كدا،
مش ممكن يبلغ، أو يقول لحد من أهله أو جيرانه إن
احنا ضحكنا عليه وخذنا منه الفلوس والساعة.

— فهمت، عشان كدا مالکش سوابق.

— الحمد لله.

— عشان ماحدش يقدر يبلغ، على فكرة انا مش هاروح
السيما لوحدى، لازم تكون معايا.

— ماينفعش.

— ليه؟

— لأن صاحبنا بيخاف وبيختار دايماً واحد قاعد لوحده
(قالها أشرف ثم غير نبرة صوته كأنه مدرس يعلم
تلميذه) : لوروحنا احنا الاتنين - شغل مخك -
هيفكروا إن احنا مع بعض، يبقى خلاص، الشاذ عاوز
واحد لوحده، انت كدا هتوقف حالنا.

— ليه هى السيما دى كلها كدا؟!

— أيوه.

— والحكومة عارفة؟

— طبعا وإدارة السيما، والعمال، وكل المنطقة عارفة.

- طب هي ليه ما بتتقفلش؟!
- مصلح، يعنى ليه البارات اللى مفتوحة لشبكات الدعارة، والنسوان هات وخذ فى ورش شارع الهرم، ماحدش يقدر يقول لهم بم؟
- يعنى أنا وأنا داخل من باب السیما ممكن حد يشوفنى ويقول على واحد من ولاد دول؟
- ادخل بسرعة، وماتخليش حد يشوفك وانت داخل، لكن جوه السیما عادى، لاتعايرنى ولا أعایرك، زیك زیه.
- انت متأكد من نجاح العملية دى؟
- أيوة، عمرها ماجلت معایا إلا مرة واحدة.
- إزای ؟
- بعد ما خدت الواد وطلعت بیه بره، ركبت معاه المكروباص وشافنى فى النور، خاف، وقال للسواق على جنب يا اسطى، ونزل جرى، بس انت شكلك طيب وماتخوفش، والخطه كدا مية مية.
- خلاص نروح احنا الاتنين، ونعمل نفسنا مش مع بعض، وكل واحد فينا يقعد بعيد عن التانى.
- اتفقنا.

دخل أشرف وقيادة السينما، وجلس كل واحد منهما فى مكان بعيداً عن الآخر، بدأ الفيلم الثانى، فهذه السينما تعرض أربعة أفلام ثم تكررهما مرة ثانية فى عرض مستمر، قيادة يجلس فى الصف الثانى وأشرف يجلس فى آخر صف، رائحة السينما لاتطاق، كريهة جداً، عدد المشاهدين لايزيد عن عشرين شخصاً، كلهم رجال، لا توجد أى امرأة أو فتاة، وعلى الرغم من أن السينما كلها خالية تقريباً، إلا أنك ترى شخصاً مريباً يطوف طوال الوقت بين الكراسى يبحث عن كرسى خال، حركة تنقلات كل خمس دقائق تقريباً، من كان يجلس بجانب شخص فى الكراسى الخلفية يتركه ويجلس بجانب شخص آخر فى وسط السينما وهكذا، لا أحد يشاهد الأفلام المعروضة.

قيادة يجلس مكانه، ولا أحد يكلمه أو يحاول التحرش به - كما توقع - فيحدث نفسه قائلاً: أكيد أشرف بيتكلم أى كلام، أو الموضوع دا حصل معاه صدفة، مرة وخلاص.

انتهى الفيلم الثالث، توجه قيادة إلى الحمام، فوجد شخصاً واقفاً كأنه حارس على الحمام، يمنعه من الدخول قائلاً: استنى شوية لما يخلصوا اللى جوه.

— دا السيمة فاضية، وسع يابا.

(يرى قيادة اثنين من الشواذ يقومان بممارسة كاملة
للجنس كأنهما رجل وامرأة، يضطرب و يرتعش من هول
مارآه، فيجرى خارج الحمام وخارج السينما، ويجرى فى
الشارع وهو يتلفت كى يتأكد أن أحداً لم يره وهو يخرج
من هذا المكان الملعون.

ليزا

لم ير (ليزا) أمه أبداً، فقد قذفته إلى هذا العالم ثم ذهب، فكانت ولادته مفرق طرق التقى فيه المسافرين لدقائق معدودة ثم انصرفا، كل فى طريقه، ليلقى كل واحد منهما مصيره الذى ينتظره، وينفذ ما أمر به وما كتب عليه.

لم يرها إلا فى تلك الصورة المعلقة على حائط غرفة الضيوف، والتي طالما كان والده يعلق عليها قائلاً:

– كانت أمك ست الحسن والجمال وأنا كنت عريس نمره واحد، كل الجمال اللى فى الصورة ده عشرة فى المية من الحقيقة لأن المصوراتى كان على قده، ياسلام لو الواحد يقدر يصور نفسه، كانت الصورة دى تاخذ جايزة أجمل صورة لعريسين فى العالم.

شعور بالاشتياق يجتاح قلب (ليزا) وعقله، كأنه يريد أن يقص على امه قصته مع (أمل)، ويطلب منها أن تخطبها له، ف (أمل) الجميلة تشبه أمه إلى حد كبير، ويبدو أن هذا هو السبب الخفى الذى يجعله يحمل كل هذه المشاعر التى هى أكبر من الحب لأمل.

يطوف (ليزا) بنظره فى كل جوانب البيت الخالى ويقف
أمام وحدته التى قدر له أن يعيش فيها، وقدر له أن يتخلص
منها ب (أمل) التى ستملاً هذا البيت حياة، «نعم سأتزوج،
وأنجب أطفالاً يمتلىء بهم كل ركن من أركان هذا البيت
الخالى، ستصبح لى عائلة ولن أعيش وحيداً أبداً بعد اليوم».

على غير عادته، راح (ليزا) يبحث عن أغان عاطفية
فى الراديو، فكل ماذاع فى محطات الراديو لا يتناسب مع
ماهو فيه من رومانسية وشوق وفرح بحبه الوليد.

قولوا له، قولوا له، قولوا له الحقيقة

قولوا له باحبه، باحبه من أول دقيقة

قولوا له باحبه

ومدوبنى حبه

فى بحوره الغريقة

أبو عيون جريئة

هى دى: قالها ليزا عندما وجد أغنية عبدالحليم وأخذ
يغنى:

فات جانبى وعيونه حبايبى

نسونى اللى عايشين جانبى

بصيت له قوام حبيته

وبفرحة عينيه ناديته

تسلم يا حلم، والله ما حد قبلك ولا بعدك.

ثم يعود للغناء، وهو يطوف بالشقة، وكأنه يريد أن يخبرها بأنها ستكون واحدة للحب وعشاً للسعادة، وبعدما كانت مقراً لواحد وحيد، ستكون واحدة للحب والسعادة مع عائلته الجديدة التى ستقضى على كل هذا الهدوء وتحوله إلى ضوضاء، وبكاء أطفال، وروائح أطعمة طازجة تنبعث كل يوم من بيت فيه حياة.

خرج (ليزا) بصحبة عم (عبد الله) و أشرف وقيادة متوجهين إلى بيت العروس لقراءة الفاتحة، الكل سعيد، الفرحة تملأ العيون، فالكل يحب (أمل) الطيبة التى تستحق رجلاً شهماً مثل (ليزا).

كانت (أمل) تترقب وصول (ليزا)، وما إن وصل حتى رقصت الفرحة فى عينيها، ولم تستطع أن تتحكم فى دموعها، (ليزا) يتقدم نحو العروس قائلاً:

— ألف مبروك يا حبيبتي.

— ربنا يبارك لى فى عمرك، ويخليك لى يا حبيب عمرى.

(ليزا) يقدم (دبلة) الخطوبة ل(أمل) فتسأله :

- ليه دبلى أنا ذهب ودبلك فضة ؟!
- انت مش عارفة إن الذهب حرام على الرجالة، أنا عمري مالبست حاجة ذهب.
- تتعجب (أمل) من رد (ليزا)، وتكتشف فيه جانباً آخر لم تكن تعرفه من قبل.
- انطلق أشرف قائلاً: ماتشغلوا أغنية حلوة نرقص عليها.
- يقوم قيادة ويمسك بيد العريس ويرقصان معاً، وتبدو السعادة فى عيون الجميع.
- حتى (صلاح) والد (أمل) بدت فى عينيه فرحة جديدة لم تظهر فى عينيه قبل اليوم أبداً وهو يخاطب (ليزا) قائلاً:
- ألف مبروك يا ابنى، أنا ماعنديش أولاد صبيان، وانت من هنا ورايح هتبقى ابنى وجوز بنتى.
- ليزا: جوز بنتك ؟! خلاص ياعمى واحنا عند قولك، يبقى نكتب الكتاب.
- صلاح: الخميس الجاى.
- أمل: مستحيل يابابا، مش هالحق أعمل حاجة.
- ليزا منادياً على أشرف: هات لى مأذون دى الوقت حالاً.

أمل (وهى تشعر بسعادة غامرة): إليه الجنان دا
يا حبيبى ؟ !

ليزا: الجنان إن احنا نضيع دقيقة واحدة واحنا بعيد
عن بعضنا، شقتنا موجودة وحمالك الله يرحمه سايب لنا
بيت ملك واستديو، وخير ربنا كثير والحمد لله وإن شاء الله
ربنا يرزقنا ويوفقنا.

صلاح: على بركة الله.

يجرى أشرف وقيادة كى يحضرا المأذون الذى سيصدر
فرماناً بالقضاء على وحدة (ليزا) للأبد، (ليزا) الذى عاش
وحيداً منذ كان طفلاً فى الخامسة من عمره حتى الآن.

يدخل المأذون من الباب فتعلو الزغاريد، و(أمل) تنظر
إلى (ليزا) بحب وسعادة وفخر، وكأنها تريد أن تقول للعالم:
هذا الرجل حبيبى وزوجى، وأنا الوحيدة فى هذا العالم
الذى ستتربع على عرش هذا القلب الكبير.

الحصار

قوات الأمن تعلن حالة الطوارئ وحظر التجول فى إمبابة وضواحيها، القوات الخاصة تحاصر منزل الشيخ جابر - قائد الحركة الانفصالية - وتقيم حواجز وكمان حول المساجد الكبرى فى إمبابة، المدرعات تملأ الشوارع، والطائرات تغطى سماء إمبابة، أوامر الاعتقال موقعة من وزير الداخلية وتحت تصرف أمناء الشرطة وصغار الضباط، كل شئ إذن جاهز، قسم إمبابة تحول إلى غرفة عمليات كبيرة، وزير الداخلية ومدير الأمن وكبار الضباط فى غرفة العمليات، سيارات الجيب المصفحة تجوب الشوارع وتقبض على أى شخص يكسر حظر التجوال، تم القبض على مئات الشباب وذاقوا كل ألوان العذاب كى يدلوا بمعلومات تفيد المباحث فى القبض على (جابر) و حسن اللذين اختفيا وكأنهما ذابا فى الهواء، ولم يعثر لهما على أثر.

تحولت إمبابة إلى منطقة حرب، الجيش والشرطة وحدهما فى الشوارع وكل السكان محبوسون فى منازلهم من السادسة مساءً إلى السادسة صباحاً.

كان (ليزا) جالساً على القهوة وحيداً ، والساعة تقترب من السادسة ، الحظر سيبدأ بعد قليل ، المعلم (وزة) يريد أن يغلق القهوة قبل بداية الحظر، لكن (ليزا) مازال جالساً ينتظر وصول (أشرف وقيادة) اللذين اختفيا منذ فرض الحصار.

— هات شاى يا حمادة.

— هو دا وقته؟ عاوزين نروح قبل الحظر.

قالها (حمادة) بصوت منخفض كأنه يحدث نفسه.

— مش تقوم تروح يا ابنى ، دول بيقبضوا على كل الشباب من غير سبب .

قالها وزه ل (ليزا) ناصحاً.

— خليك فى حالك ، وإن كان على القهوة أنا سايبها لك مخضرة.

— معلش يا (ليزا) والنبي ماتزعلش.

ترك (ليزا) القهوة متجهاً إلى ناصية سور الصنائع ، يحدث نفسه وهو يمشى : ياترى العيال دول راحوا فين؟! يكونش اتقبض عليهم؟ لا مستحيل ، دول بيقبضوا على الشيوخ الخارجين من الجوامع والشباب اللى ماسكين المصاحف ولا بسين جلابيب بيضا ، لا.. لا ، دول شكلهم شمال الشمال ، ومش ممكن يتقبض عليهم مع المشايخ.

خرج ليزا من سور الصنائع ودخل شارع ترعة السواحل
فاستوقفه أمين شرطة : بظاقتك.

— أنا (ليزا) وطول عمرى بأقف هنا.

— البطاقة ياروح أمك.

قالها أمين الشرطة وهو يضرب (ليزا) على وجهه.

ليزا يصرخ : انت بتضربنى أنا؟! أنا اتضرب بالقلم؟!

— واضربك بالجزمة كمان.

قالها أمين الشرطة وهو يضرب (ليزا)، وفى لحظات كان
كل جنود الشرطة قد تجمعوا وأخذوا يضربون (ليزا)، ثم
حملوه وألقوا به فى الشاحنة الكبيرة مع باقى المعتقلين،
ظل (ليزا) ينزف ودماءه تغطى ملامحه وهو يتألم بعدما
تورمت قدماه ووجهه من الضرب، والشاحنة مكتظة
بالشباب وكلهم بنفس حالته إلا قليلا منهم.

أحد المعتقلين يسأل ليزا: ما تعرفش هيوونا فىن؟

— أنا مش عارف، ولغاية دى لوقت مش مصدق اللى
بيحصل.

تدخل معتقل آخر: مدام العربية ماشية فى اتجاه الدقى
يبقى احنا رايعين مقر أمن الدولة فى (جابر بن حيان)،
هيكشفوا علينا هناك، وإن شاء الله نروح... أنا ماعملتش حاجة.

ليزا: انت فرحان إنهم هيوودونا ورا الشمس، أمن الدولة ؟!

— طبعا، دول لو ودونا قسم إمبابة هنتعلق ونتنفخ ونموت
ويدفنونا من غير ماحد يدري بينا، واللى هيستحمل
جوابات الاعتقال جاهزة.

— ولما نروح أمن الدولة هيعملوا لنا شاي يعنى ؟! كدا
ضايعين وكدا ضايعين.

— أمن الدولة عاوزين المطلوبين عندهم، أنا لى واحد ظابط
قريبى فهمنى الحكاية دى، قال لى إنهم بيقبضوا على
الناس الأول، وبعد كدا بيعملوا عنهم تحريات، وإذا
ثبت إنهم مش مطلوبين بيخلوا سبيلهم، وإذا كانوا
مطلوبين، بيحرروا محاضر وهمية بأن التحريات أثبتت
إنهم إرهابيين، و يصدر قرار بالضبط والإحضار، ويتم
بعد كدا القبض عليهم بنجاح، وبكدا تبقى صورتهم
حلو قدام الكبار، لكن لو قالوا على حد إنه متورط
فى جريمة تمس أمن الدولة وماقدروش يقبضوا عليه
بيبقى موقفهم صعب جداً.

— يعنى إيه يقبضوا على الناس الأول ؟! ليه هما بهائم
مش بنى آدمين ؟!

— طبعا مش بنى آدمين .

عقب معتقل آخر: لا، بنى آدمين، وربنا ينتقم من الظالمين إن شاء الله.

ظلت الشاحنة تسير حتى وصلت (جابر بن حيان)، نزل الضابط ومعه أمين الشرطة الذى أقبل على ضابط أمن الدولة قائلاً: مساء الخير يا افندم معاًى ثمانية وعشرين من العناصر التخريبية.

— مساء النور يا حضرة الظابط، ما عنديش أى مكان أقدر استلم فيه معتقلين جدد، كومبليت، (وهو يضحك) ارجع بيهم على قسم إمبابة.

صعد الضابط إلى الشاحنة ووجه الأمر للسائق بأن يتجه لقسم إمبابة، وما إن سمع المعتقلون حتى صاحوا:

حرام عليكم، احنا ماعملناش حاجة، هيودوننا المفرمة، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

ظل (ليزا) صامتاً، يسمع ويرى ويراقب ما يحدث، وكأنه سقط من فوق أعلى نقطة فى الكون فى بحر الدهشة، العساكر يفتحون الباب الخلفى للقسم، ضابط الحراسة يفتح باب الشاحنة، جنود الأمن المركزى يستعدون لحفل الاستقبال، يمر المعتقلون فى ممر ضيق بين الجنود على الصفين، فيبدأ الجنود فى ضرب المعتقلين بغل، الكل يأخذ نصيبه من الضربات بالشوم والهرارات.

(ليزا) يحاول أن يدافع عن نفسه ، الجنود يعتبرون مافعله
إهانة لهم فينهالون عليه ضربا تاركين باقى المعتقلين.

ألقى المعتقلون فى زنزانة واحدة ضيقة ، حوائطها وأرضها
من الخرسانة المسلحة ، ولا توجد فيها تهوية مناسبة ، (ليزا)
ملقى على الأرض ينزف من أنفه وفمه ، وملابسه ملطخة بالدماء.

— ألف سلامة يا صاحبى ، ألف سلامة يا أخوى

سمعها ليزا فالتفت فى اتجاه الصوت.

— أنا أشرف سعد.

ليزا يحاول أن يفتح عينيه المتورمتين ليرى أشرف قائلاً:

— وفين قيادة ؟

— معاى طبعاً ، هيروح فين ؟ اشمعنى انت اللى افتروا
عليك كدا يا صاحبى ، أنا مافيش حد لمسنى.

— أمال مين اللى اتضرب على قفاه واحنا داخلين ؟

يرد أشرف وهو يجز على أسنانه غيظاً:

— ضرب الحكومة مش عيب ياغشيم ، هو اللى يقاوح
معاهم (ينظر لليزا) يسلم من أذاهم ، بلاش ترد عليهم يا
(ليزا) ، سايسهم عشان يخرجونا من هنا ، أنا عرفت إنهم
بيعتقلوا السنية ، وأى حد بيصلى فى جامع الصحابة أو
الفرقان ، أو يعرف الشيخ (جابر) ، لكن اللى زينا بيروح

بيته، إن شاء الله نخرج من المصيبة دى على خير.

يدخل أحد الجنود وهو ينادى: أشرف سعد.

— أفندم ياباشا.

— تعالى يا أشرف حضرة الظابط عاوزك .

يخرج أشرف مع العسكرى، يصعد السلم ليصل إلى الدور الثانى - مقر أمن الدولة فى قسم إمبابة - يدخل الغرفة فيجد عدداً كبيراً من الضباط والعساكر ينتظرونه، وآثار دماء على الأرض، وسلاسل حديدية معلقة فى سقف الغرفة معدة لتعليق المتهمين، الرعب يسيطر على أشرف، يريد أن يبكى، لكنه خائف أن يغضب بكاؤه الضباط أو يتكلم فيزعجهم كلامه.

— إيه حكايتك يا أشرف؟

قالها أحدهم وهو ينهر أشرف.

يجيبه أشرف وشفاته ترتعشان: والله ياباشاوات أنا آخر واحد فى الدنيا، ينفع بيجى هنا، أنا عمري ماصليت، ولا أعرف الألف من كوز الدرة، حتى الفاتحة مش حافظها.

— احنا عارفين يا أشرف ... انت زى الفل.

— الحمد لله.

— عاوزينك تساعدنا يا أشرف فى جمع المعلومات عن العيال دول، اللي كل هدفهم إنهم يدمروا البلد.

يبدأ أشرف فى محادثة نفسه: عاوزنى أبقي مرشد؟! وماه؟! بس أخرج من هنا.

ثم يرفع صوته: كلنا فدا البلد ياباشاوات بس عاوز أعرف إيه المطلوب بالضبط.

— معلومات.

— عن مين؟

— أنا هاسيبك تروح، لكن لازم تفتح عينيك كويس، وتبلغنى بكل صغيرة وكبيرة عن العيال دول.

— السنية ياباشا؟! أنا كدا فهمت ... أروح بقى؟

— روح.

وما إن وصل أشرف إلى الباب حتى وقف وتسمر فى مكانه .

— فيه حاجة؟

— معايا اتنين زمايلى زيى بالضبط، مالهمش فى الطور ولا فى الطحين، وممكن يشتغلوا معايا فى جمع المعلومات .

— ليزا وقيادة؟

أشرف: حضرتك عارفهم؟!

— طبعاً عارفهم كويس، هما كمان هيروحووا، احنا بنحافظ على البلد، وما بنظلمش حد.

— واحنا مالنا، بلدكم وانتوا حرين فيها.
(تمتم أشرف محدثاً نفسه)

فى هذا الوقت كان قيادة يحاول تطهير جراح (ليزا) المنتشرة فى وجهه، وأحد الشباب الملتحين يعطى قيادة منديلاً قائلاً:

— اغسل وشه بشوية مية، على فكرة كلها جروح سطحية، بسيطة إن شاء الله، علينا أن نتحمل ظلم الطغاة مرضاة لوجه الله، وإعلاء لكلمته.

قيادة: خد ياعم المنديل بتاعك، ماتوديناش فى داهية.

ليزا: شكرا يامولانا، ألف شكر، معلش (أحمد) بيحب يضحك.

الملتحي: شفاك الله وعافاك يا أخ ليزا.

ليزا: واسم الكريم إيه؟

— خالد.

— فرصة سعيدة ياشيخ خالد، هما الجماعة دول بيعملوا معاكم كدا ليه؟!

- دا ابتلاء من ربنا.
- يعنى إيه؟
- امتحان، ربنا بيمتحن عباده المؤمنين، عشان يعرف مين اللى إيمانه حقيقى ومين اللى إيمانه مزيف.
- طب وهو ربنا مش عارف كل حاجة أصلاً؟!
- طبعا عارف كل شئ، ومقدر كل شئ.
- يعنى ربنا هو اللى بيخلينا نعمل كل اللى احنا بنعمله؟
- أيوة يا (ليزا)، ربنا قادر على منعنا من أى فعل.
- يعنى احنا مجبرين على تنفيذ المكتوب علينا غصباً عننا، ومالناش أى دور، وربنا هو اللى بيتحكم فى تصرفاتنا.
- صحيح.
- طب ليه بيحاسبنا على حاجات هو اللى كاتبها علينا؟!
- بص يا (ليزا)، ربنا رحيم بعباده، وما بيظلمش حد، قوم واتوضا وصلى معانا، وربنا هيفك ضيقتنا جميعا، ماتشغلش نفسك بأمور غيبية، أهم حاجة تصلى وتدعو الناس للصلاة.
- الشيخ خالد يطوف بالمعتقلين، صلاة المغرب، صلاة

المغرب. كل المعتقلين يصلون خلف الشيخ خالد، وفور انتهاء الصلاة يقف خالد قائلاً:

— الصلاة يا إخوتى أهم علاقة بين العبد وربّه، وعلينا جميعاً أن نصلى، وندعو كل من حولنا لأداء الصلاة فى موعدها، ولا تشغلوا أنفسكم بأى شئ آخر.

معتقل سلفى: إزاي يا أخ خالد نهتم بالصلاة فقط ونترك الفساد والظلم، فريضة الجهاد هى الأولى فى هذا الزمان.

خالد: أخى الكريم، ما اسمك ؟

— (أبو إسحاق)، أنا عارف يا أخ خالد إنك من جماعة التبليغ والدعوة، ربنا يهديكم.

— اللهم اجعلنا من المهتدين.

— هذه الجماعة أتت ببدع كثيرة، وقائمة فى أساسها على بدعة الخروج فى سبيل الله .

— بدعة أيّه يا (أبو إسحاق)، أول من خرج فى سبيل الله هو رسولنا الحبيب صلى الله عليه وسلم وأصحابه الأبرار الأطهار.

— تحديد أيام الخروج بثلاثة أيام فى الشهر وأربعين يوماً فى السنة بدعة، وأن يكون الخروج هو الأساس والأصل الذى يبنى عليه الجماعة بدعة، وبعدين يا

أخ خالد إزاي تقارن بين أصحابك الجهلاء، ومعظمهم لا يملكون من العلم الشرعى شيئاً، بل وفيهم من لا يقرأ ولا يكتب، وبين أصحاب النبی صلی الله علیه وسلم، العلماء الذين كانوا ينشرون الدين بما علمهم وأدبهم به الرسول صلی الله علیه وسلم.

— فى هذا الزمن يا أخى الحبيب ترك الناس المساجد وهجروها، ويكفينا أن نرجعهم إليها بأى وسيلة، وهذا فى حد ذاته عمل يرضى الله ورسوله.

— البدع لا ترضى الله ورسوله يا أخ خالد، لا بد من اتباع صحيح السنة، النجاة كل النجاة فى اتباع سنة النبی وليس اتباع البدع، عليكم أن تنهلوا من بحور العلم الصحيح، ولا تسندوا أمر الدعوة إلا للعلماء فقط، أنا عندما أذهب إلى المسجد وأعطى درساً فى التفسير ألا يكون ذلك خروجاً فى سبيل الله؟!، عليكم بالعلم أولاً والبعد عن البدع والخرافات.

— خرافات ؟!

— نعم خرافات يا أخ خالد، ألا تعرف أن أتباع جماعتكم فى الهند يدعون أن الرسول صلی الله علیه وسلم مازال حياً، وأنه يظهر للناس فى الأسواق والمقاهى، ويدعوهم للصلاة فى المساجد، أليست هذه خرافة؟! والخروج أربعين يوماً فى السنة، وثلاثة أيام فى الشهر، أليس

تحديد هذه المدد بدعة ما أنزل الله بها من سلطان؟!

يدخل العسكرى منادياً:

— أحمد قيادة و محمد ليزا.

— خير ياباشا ؟

— هتروحو .

— الحمد لله ، ياترى انتِ عاملة إيه دى الوقت يا أمل ؟

وصل (ليزا) إلى بيته ، أمل تفتح الباب لزوجها قائلة:

— كنت فين يا حبيبى ؟ (وهى تبكى) دا أنا دورت عليك

فى كل حنة ، فى قسم إمبابة قالوا لى مافيش حد بالاسم

دا ، وفى أمن الدولة نفس الرد ، ولما أكدوا لى إن أنت

مش موجود عندهم ، بدأت أدور فى المستشفيات كلها ،

بقالى أربع أيام بالف على رجلى.

يحتضنها (ليزا) فى مزيج من الحنان والأسى:

— ماعليهش ريحتى من المعتقل.

— مسك وعنبر يا حبيبى ولا يهمك ، يعنى انت كنت

عندهم؟! حسبى الله ونعم الوكيل ، أمال اللى عمال

يحلف إن انت مش موجود.

— فين؟

— فى قسم إمبابة، أمين شرطة خد خمسين جنيه وجاب
لى دفتر فيه أسامى كل المقبوض عليهم، واللى فى
الحجز، وقال لى والله هى دى كل الأسامى، ومدام اسمه
مش مكتوب يبقى دورى عليه فى حطة تانية، مابقاش
قدامى غير المستشفيات، تعبت قوى يا (ليزا) (وهى
تبكى).

— عمر الشقى بقى.

حالا هاحضر لك العشا، تلاقيك ميت من الجوع
ياحبيبى (قالتها أمل وهى مسرعة فى اتجاه المطبخ)
عقبال ماتاخد حمام يكون الأكل جاهز.

دخل (ليزا) وأخذ حماماً ساخناً ثم جلس على السرير،
ماهى إلا لحظات حتى غرق فى بحر النوم العميق.

حاولت (أمل) أن توقظه قائلة:

— كل لقمة صغيرة، ونام براحتك.

لكن هيهات، مرارة الرحلة وتعب الأيام الصعبة حلا
على (ليزا) فنام كأنه مغشى عليه.

الشيخ خالد

حين أنهى دراسته فى كلية الآداب، محتلاً الترتيب الأول على الدفعة كعادته، كانت صدمته الأولى، فقد رفضت إدارة الجامعة تعيينه معيدا، رغم أن قسم التاريخ فى الجامعة لم ير طالباً بمثل هذا التفوق والإخلاص.

لم يحصل خالد على حقه فى التعيين، بينما أخذ الوظيفة ابن أحد أساتذة الجامعة ينتمى للحزب الحاكم.

لم يغضب خالد عندما أخبروه بأنه رفض لدواع أمنية، وقابل نصيحة رئيس القسم - بأن يحلق لحيته ويتقدم بطلب مرة أخرى - بالرفض، وصبر واحتسب، وقبل أن يكون مدرساً للتاريخ بمدرسة السادات الإعدادية بالصحفيين، مردداً: «قدر الله وما شاء فعل... أكيد ربنا له حكمة وعاوزنى أكمل رسالتى، المدرسة قريبة من بيتى فى إمبابة، وقريبة من مسجد أنس، ومن الشيخ (إبراهيم عزت)، الحمد لله الذى اختار لى أن اكون مع من أحب.

بدأ خالد فى نشر مبادئ التبليغ والدعوة فى المدرسة، وبدأ بتعليم الأولاد أهمية احترام العلماء، وتقبيل أيديهم، فانعكس هذا على سلوك الطلبة فى احترام المدرسين مما جعل الجميع، خاصة إدارة المدرسة، تحبه وتقدره، وبدأ زملاؤه الذين يشعرون بتأثيره الإيجابى على التلاميذ يضعونه فى منزلة كبيرة، وصاروا يسألونه فى كل شئ يخص دينهم ودنياهم، وهو لا يتأخر أبداً.

أصبح مسجد المدرسة والمكتبة مركزين هامين للتبليغ والدعوة فى المدرسة، وزاد النشاط فى أول إجازة دراسية، حيث سمحت إدارة المدرسة باستقبال شباب المنطقة، طلاب المدرسة الراغبين فى حفظ القرآن الكريم .

الشيخ خالد يرى أن الظروف التى تمر بها مصر هى نفس الظروف التى مرت بها الهند وقامت جماعة التبليغ والدعوة لمواجهةها والتصدى لها، فالناس هجرت المساجد وعمرت المقاهى والملاهى، ووجب على عباد الله الملتزمين بعبادته أن يذكروهم ويحرضوهم على العودة إلى تعمير المساجد، فمشكلة مصر هى البعد عن طاعة الله، وعدم إقامة شعائر دينه الحنيف، فلو صلى الناس فى جماعة، وحفظوا ماتيسر من القرآن، وشغلوا أوقات فراغهم بدعوة أناس آخرين لتم القضاء على الفساد، ولصلح أمر العباد، وهذا اليقين قد اكتسبه من ترده على معلمه الشيخ (إبراهيم عزت)، ومن الخروج فى سبيل الله مع جماعة التبليغ والدعوة.

كل شئ كان على مايرام، حتى ظهرت مشكلة الشيخ (جابر) الذى خسرت الدعوة كل شئ بسببها، أغلقت المساجد ونفى الشيخ (إبراهيم)، وحددت إقامة الشيخ عبدالمنعم، وحسب الجميع على الحركة الإسلامية، وكأنها شئ واحد، الكل له شكل واحد، وهو (جابر) الذى يريد إحداث الفوضى والفتنة وتقسيم الوطن.

لم يبق من التبليغ والدعوة إلا القليل، فمنهم من أمسك عليه لسانه والتزم بيته، ومنهم من أخذ بفتوى تبيح له حلق لحيته، ومنهم من أبقى عليها، والشباب يخافون من ارتداء الجلباب الأبيض، أو حتى الصلاة فى المساجد الكبيرة خشية القبض عليهم.

ليس أمام خالد إلا أن يبدأ من جديد هنا فى مدرسة السادات الإعدادية، يربى الأبناء على النظام، كل مجموعة من أربعة طلاب لها أمير، يدخلون الفصول بين الحصص، ويدعون الطلاب للصلاة، وكل المدرسين والإدارة تبارك هذا النشاط الذى يعلم الأولاد أن طاعة المدرس والناظر واحترامهم من صميم طاعة الله، ولا بد من استغلال كل دقيقة فى الصلاة والدعوة حتى تكون المدرسة كلها ليس فيها تارك صلاة واحد.

خالد فى منزله فى شارع السد العالى - أعلى مسجد الصحابة الذى تم اغلاقه - يحدث نفسه: «إن شاء الله الطلبة دول لما يكبروا هيبقوا قوة للجماعة وبداية جديدة،

انت هتكذب على نفسك، ليه مش عاوز تعترف إن كل شئ راح، وانت قاعد هنا إيدك على خدك». ينتفض خالد قائلاً: أستغفر الله العظيم.

قام خالد وتوضأ، وصلى صلاة استخارة طالباً من الله أن يرشده، هل يبدأ من جديد، ويترك كل منجزات الجماعة، أم يحاول إنقاذ الجماعة من التهم الباطلة، ويعيدها للحياة مرة أخرى بكوادرها المنتشرة فى جميع ربوع مصر؟

ما إن فرغ خالد من صلاته حتى احتلت صورة (ليزا) فكره، وتذكر دعوة الرسول عندما تعرضت الدعوة لمراحل الضعف الأولى، اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين، نعم هذا الشاب الطيب النشأة (ليزا)، شجاع وقوى وقيادى، نعم (ليزا)، اللهم أعز الدعوة ب (ليزا)، نعم سيكون (ليزا) مكسباً كبيراً للجماعة، وسيلتف الناس حوله وحول الجماعة مرة أخرى، هو حافظ للقرآن وصوته جميل، وشخصيته قوية، نعم سأتصل به كى نجمع معاً شتات الجماعة.

ذهب خالد لسور الصنايع، وسأل عن (ليزا) فأجابه (حمادة):

— عم (ليزا) بقاله كتير ما جاش القهوة، اتفضل ياشيخ وانا هاروح انده له.

ذهب (حمادة) بالفعل إلى بيت (ليزا) ودق جرس الباب:

— مساء الخير يا أبله (أمل)، والنبي تخلي عم (ليزا)
يكلم ناس عاوزينه على القهوة.

— ناس مين؟ حكومة؟

— لا لا، دا واحد شيخ وشه منور - اللهم صلى على النبي
- وريحته حلوة.

— دقيقة واحدة.

ذهب (ليزا) لمقابلة الشيخ خالد:

— أهلاً يامولانا احنا زارنا النبي.

— عاوزك تشرفنى فى بيتى، أنا عازمك على الغدا.

— دا واجب علينا احنا.

وسار معه وهو فخور.

جلس خالد و(ليزا) حول الطعام، وأكلا معاً ثم قال
خالد:

— أنا باحمد ربنا إنه عرفنى عليك يا (ليزا)، والله أنا
باحبك فى الله، وعارف إن ربنا هينصر بيك الدعوة.

ليزا فى عجب ودهشة مما يسمع: دعوة إيه ياشيخ خالد؟

— الدعوة إلى الله

قالها خالد وهو يتفحص وجه (ليزا) ليرى رد فعله.

- أنا ؟! أنا أصغر بكثير من اللي حضرتك بتقوله.
- مش انت قلت لى إن والدك الله يرحمه كان عاوزك تبقى داعية كبير، وعلامة، تعلم الناس، ويبقى عندك طلبه علم حواليك فى كل مكان .
- أيوة، فعلا بس الكلام دا من عشرين سنة، وحفظت فعلا ثلاث أجزاء، ولكن وفاة أبوى غيرت مسار حياتى كلها، وانتهى كل شئ.
- لأ، مافيش حاجة انتهت، الدعوة محتاجة لكل واحد مننا، لو تعرف الشيخ (إبراهيم) تعب قد إيه، لو تعرف الشيخ (عبدالمنعم) ضحى قد إيه، وغيرهم آلاف.
- إيه اللي انت بتقوله دا ياشيخ خالد، دعوة إيه اللي محتاجة لى.
- التبليغ والدعوة، لجمع شتات الدعاة.
- هو احنا قد الحكومة.
- التبليغ والدعوة غير الشيخ (جابر) واللى عمله، احنا كنا ومازلنا رافضين كل اللي عمله (جابر) لأنه ضد مصلحة الإسلام وأضر بمصالح المسلمين، وعرضهم لفتنة كبيرة.
- يعنى مش عاوزين تحكموا البلد؟

- لا، لا، مالناش دعوة بالسياسة، يحكموا هما زى ما هما عاوزين.
- أمال إيه ؟
- الشيخ الكاندهلوى لما لقي الناس فى الهند هجرت المساجد وترك شعث الله ألف هذا الكتاب.
- قالها خالد وهو يعطى (ليزا) كتاب (حياة الصحابة).
- فيه إيه الكتاب دا ؟
- أنا كل يوم هاقرا لك فيه ، وهندرسه سوا.
- يعنى احنا مش ضد الحكومة ؟
- أيوة، كل اللى احنا عاوزينه إن الناس تترك المعاصى، وتؤدى الفرائض، خاصة الصلاة فى جماعة، هو دا يزعل الحكومة فى حاجة؟
- طبعا مايزعلش، بالعكس دا يقلل الجريمة ويساعد الحكومة.
- وأمن الدولة كانوا فاهمين، وعارفين الحقيقة دى، وبیتعاملوا معانا معاملة طيبة جدا، لكن (جابر) والفتنة اللى عملها، حسبى الله ونعم الوكيل، خلاهم قفلوا مساجدنا، وحرموا طلابنا من حفظ القرآن والخروج فى سبيل الله.
- اشمعنى أنا بالذات اللى اختارتنى ياشيخ خالد؟!

- ربنا هو اللي اختارك، معظم الشباب فى منطقتنا خافوا وبعدوا، وانت بالذات مع أنك كنت مش مننا كنت دائماً بتدافع عننا وتقول دول بتوع ربنا، إزاي تعاملوهم كدا؟
- قلبى كان بيتقطع لما باشوف شيخ أو عالم يتهان أو يتهزأ من الأوباش.
- ما شاء الله، قلبك سليم، ونشأت نشأة ربانية، الله يرحم والدك هو اللي أعدك للمهمة دى، وانت عندك خمس سنين، فاكرو؟
- طبعا فاكرو.
- بس أهم وصية أتمنى إنك تعملها إنك تقرا وتفهم الكتاب دا كويس جدا (يمسك فى يده كتاب حياة الصحابة)، هنقراه سوا، وندرسه دراسة وافية، عشان تعرف أنت مين، ورايح فين وعاوز إيه.
- أمسك ليزا بالكتاب وقال: يعنى مصر دى الوقت بقى حالها زى حال الهند، الناس سابوا الدين والصلاة والمطلوب إنهم يرجعوا للجوامع ويصلوا فى جماعة.
- بالظبط كدا.
- لا فيه سياسة ولا حكم ولا عنف.

— تمام كدا، بص يا (ليزا)، كل إنسان فى الدنيا له دور،
ودا دورك اللى ربنا اختارك له، عشان كدا لازم تذاكر
الكتاب كويس جدا، وانا كل يوم هاستناك هنا نصلى
العصر ونبدأ لحد ما ننتهى من دراسة الكتاب.

استمر (ليزا) فى التردد على الشيخ خالد الذى درس
معه كتاب حياة الصحابة، واستمر معاً حتى انتهى من
الثلاثة أجزاء فى عام واحد، وكان يحفظ القرآن مع متابعة
الدروس، حتى انتهى من حفظه أيضاً فى ثمانية عشر شهراً
بالتجويد والأحكام والتلاوة، ثم تقدم (ليزا) لنيل الإجازة
فى حفظ القرآن والقراءات ونالها باقتدار من شيخ جليل
مشهود له بالتدقيق وبأنه لا يعطى الإجازة إلا من يستحقها .
ثم كانت اللحظة المشهودة التى جمعت بين خالد
و(ليزا) ليقول خالد مهنئاً:

— مبروك يا شيخ محمد.

— ليزا.

— يا شيخ (محمد ليزا)، أنا أباعك أميراً لجماعة التبليغ
والدعوة فى إمبابة، المهمة شاقة، وأنت جدير بها،
بارك الله فىك، دى الوقت لازم تعرف إن حلم والدك
اتحقق، وأملنا فىك كبير .

— على بركة الله.

الطريق

أمل تملأ الشقة حياة، تعد الطعام لزوجها الحبيب
الذى طالما حلمت بقربه، روائح الطعام تعلن للجيران أن
ليزا لم يعد وحيداً، قد أصبح له بيت وزوجة، عائلة تدفع
عنه طوفان الوحدة الذى حمله عشرين عاماً.

الراديو على إذاعة القرآن الكريم، الشيخ يرتل بصوت
جميل، أمل مازالت فى المطبخ، ومن هناك يأتى صوتها:
الله يا (ليزا) دا المنشاوى، عليه شوية.

ليزا لا يرد، أمل تخرج للصالة:

— الله أكبر، الله أكبر، ماشاء الله هو انت يا حبيبى؟!

ليزا: صدق الله العظيم.

— صوتك جميل، عمري ماسمعت صوت أجمل منه.

— الحمد لله .

— امتى وفين؟! وليه ماحكيتليش؟ أول ما شفتك بتفتح مكتبة
بابا محمود وتأخذ منها المصحف حسيت براحة وسعادة.

— عشان انتِ طيبة، وأصلك طيب، بصى ياستى وأنا صغير كنت حافظ ثلاث أجزاء من القرآن (عم وتبارك وقد سمع)، حفظ وتلاوة وأحكام، وكنت باطلع فى الإذاعة فى برنامج الفوز العظيم .

قالت أمل وهى تنظر له بود، والدهشة تملأ وجهها والسعادة ترقص فى عينيها:

— والله أنا كنت متأكدة إنك إنسان عظيم، وفيك حاجة لله، عشان كدا صاحبت الشيخ خالد وبتروح تقعد معاه بالساعات.

— ربنا بعث لى الشيخ خالد فى الوقت المناسب، دى إرادة ربنا واحنا مالناش أى دور فيها.

— ونعم بالله .

— بابا كان جايب لى شيوخ من وانا عندى أربع سنين عشان أحفظ القرآن وأبقى داعية، وكان دايمًا بيحلم إننى معايا كور من نور باوزعها على الناس، ففسر الحلم دا بأنى هاكون عالم، وعمل المستحيل عشان يحقق الحلم دا، لكن مات وأنا فى أول الطريق .

— بس أسسك على الصح والضمير والدين.

— وبعد عشرين سنة قابلت الشيخ خالد، وكملت المسيرة، انتِ عارفه احنا بنعمل إيه عند الشيخ خالد كل يوم؟

— انت عارف أنا عمرى ماسألتك انت رايح فين أو بتعمل
إيه عشان عارفة انك بتضايق.

— باحفظ القرآن وبذاكر فى كتاب (حياة الصحابة).

— ما شاء الله .

— مش قادر أفهم إيه اللي بيحصل فى حياتى ، وليه
بأعمل كل دا من غير ما اكون عاوز أعمله ، ودايماً
بابقى ندمان على كل حاجة غلط عملتها فى حياتى ،
أنا مش راضى عن كل حاجة عملتها فى حياتى قبل
ما أعرف طريق الحق.

سألته أمل فى دلال: مش راضى عن كل حاجة؟!

— انتِ قدم النور، دخلتِ حياتى وكل شئ اتغير.

— بس أنا عاوزه أفهم إيه اللي حصل ، وإيه التغيير
المفاجئ دا؟

— الشيخ خالد، قدر يطلع الخير اللى موجود جوايا، لما
كنا فى الحجز دار بينا كلام غريب قوى

(ثم يبدأ فى قص ما حدث له مع الشيخ خالد)

ليزا: ألا قل لى يا مولانا ليه ربنا بيخلينا نعمل الشر
مع إننا بنحب الخير؟!

خالد: استغفر ربك يا أخ (محمد).

— قل لى يا (ليزا).

— استغفر ربك يا (ليزا)، معاك مصحف ؟، أقول لك
خد المصحف دا وتعالى نقرا وندعى ربنا يفك كربنا، ما
تقلقش أنا عارف إنك أول مرة هتقرا، أقولك اقرا ورايا.

— ليه بتقول كدا ؟! دا انا حافظ ثلاث أجزاء، قصدى
كنت حافظ من وأنا عندى خمس سنين.

— ماشاء الله، طب سمعنى.

يقرأ (ليزا) القرآن بصوت عذب، لدرجة أن من يغمض
عينيه يشعر بأنه أمام صوت الشيخ «محمد صديق المنشاوى»،
فيبدأ كل المعتقلين فى الالتفاف حول (ليزا) ليسمعوا هذا
الصوت الملائكى، حتى إذا ما انتهى من التلاوة احتضنه
الشيخ خالد قائلاً: ما شاء الله ما شاء الله .

فرح (ليزا) بإعجاب المعتقلين به.

سأل (ليزا) (الشيخ خالد): يعنى أنا ممكن حياتى تتغير؟

— هى اتغيرت فعلاً ياليزا، ربنا جابك هنا عشان تبدأ
حياة جديدة.

— إزاي؟!

— انت حاسس إنك مهم وكبير، والكبير لازم يعمل
حاجات كبيرة، عشان كدا كنت بتستعمل قوتك فى

حماية جيرانك وأصحابك، بس فيه حاجة أكبر من
كدا تقدر تعملها.

— إيه هي؟

— إنك تحفظ أولاد المسلمين القرآن وتعلمهم وتدرهم إزاي
يبقى صوتهم جميل زيك.

— واللى فات؟

— لو انت فى لجنة الامتحان واكتشفت انك بقى لك
ساعة بتحل غلط، تحل صح الساعتين الباقيين ولا
تسيب الورقة بالغلط اللى فيها؟

— أحل صح طبعاً.

— التوبة تجب ما قبلها والتائب من الذنب كمن لا ذنب له.
يبدأ (ليزا) فى البكاء وخالد يطمئنه : حمدا لله على
السلامة يا (ليزا).

يفيق (ليزا) من رحلته مع الذكريات القريبة على قبلة
من زوجته (أمل) التى تضمه قائلة :

— النهار دا أسعد يوم فى حياتى، والله دى شغلانة حلوة
قوى يا حبيبى، وأنا طول عمرى باقول أنا هاتجوز
مدرس، أنا هاجيب لك أولاد الجيران كلهم، ومش
هندقق مع حد، كل واحد على قده، حتى لو من

غير فلوس، وأنا هاكون أول تلميذة، حفظنى وعلمنى
ياحبيبى، نفسى أتعلم كل شئ منك، يا أجمل هدية
من ربنا، باحبك ياشيخ (محمد).

— (ليزا).

وينخرطان معاً فى حالة من الضحك الجميل.

الأمير

رأى خالد فى (محمد ليزا) أملاً جديداً يمكن به لم
شتات جماعة التبليغ والدعوة وإحيائها من جديد، بينما
يرى (ليزا) أنه أصغر من هذه المهمة العظيمة، ولكن شيئاً
ما داخله يجعله سعيداً وفخوراً بنفسه، فالشيخ خالد له
نظرة ومن المؤكد أن اختياره فى محله.

بدأ الشيخ خالد يكثف من اجتماعاته مع (ليزا) فى
منزله الذى تحول إلى واحة نور وقرآن وعلم.

— لازم نستفيد من أخطاء الآخرين.

قالها خالد لليزا وكأنه يعده للقيادة.

— إزاي ؟

— اللى عمله (جابر) وأصحابه مش جهاد يا (ليزا) ولا
يرضى ربنا، دى فتنة ضربت الدعوة فى مقتل، وأذت
الدعاة الربانيين اللى عمرهم ما اهتموا بالسياسة.

— الناس كانوا عاوزين يطبقوا شرع ربنا.

- شرع ربنا هيتطبق لما شعائر الدين تتطبق، وكل الناس تبقى حريصة على الصلاة جماعة فى المساجد.
- يعنى احنا نقعد نصلّى ونسيب الحكام يعقلوا المشايخ؟!
- كل اللى حصل دا من آثار الفتنة اللى عملها جابر واللى معاه، على فكرة أنا سمعت الشيخ (إبراهيم عزت) بودنى وهو بيقول: اللهم ارحم الإسلام والمسلمين من جابر وأعوانه، وكان يدعو لهم بالهداية.
- يعنى احنا لما نحفظ القرآن، هما هيبطلوا يعذبوا الناس فى المعتقلات، لازم ننتقم منهم ونأخذ حق المظلومين اللى بيتعذبوا ويموتوا كل يوم من غير ما حد يحس بيهم.
- بناء الدولة الإسلامية لازم يكون على أساس قوى، والأساس دا هو بناء الفرد المسلم بناءً صحيحاً، وهو دا دورنا، احنا عاوزين نحفظ القرآن، ونحفظه لأولادنا، ونقيم شعائر الله، نصلّى ونمكن الناس من الصلاة فى كل المساجد، ونطمئن الأمن عشان يفتحوا لنا المساجد اللى قفلوها، ونشرح لهم فكرنا، لازم يفهموا من تانى إن احنا غير التانيين اللى عاوزين السلطة وبيسعوا للحكم، احنا عاوزينهم هما يحكموا زى ما هم عاوزين، بس يسيبونا نعبد ربنا ونصلّى ونعمر مساجد الله.
- يعنى احنا مش ضد الحكومة؟

— أيوه وندعو لها بالهداية ، وضد كل مافعله جابر وأصحابه .

— هما ليه بيقبضوا على الناس دى كلها؟!

— أغلب بتوع الأمن جُهلة ، ومش عارفين ولا قادرين يفرقوا بينا وبين غيرنا ، وإخواننا ضرونا باللى عملوه ، والله يا (ليزا) لولا (جابر) وحركته الغبية لخرجت الناس فى شوارع مصر كلها فى ثورة عارمة تطالب بإقامة شرع الله ، أداء الشعائر التى أمر بها الله هو الطريق الوحيد لتطبيق شريعة الله .

— أنا مش فاهم حاجة .

— المهم إنك تكون عاوز ترضى ربك .

— طبعاً ، أنا بدأت فعلاً ، وعندى ثلاث أولاد باحفظهم القرآن .

— وأنا هابعت زوجتى (عائشة) تساعد زوجتك فى الاتصال بالسيدات والبنات الللى عاوزين يعرفوا دينهم ويحفظوا القرآن ، وهنبداً فوراً بدروس الحجاب .

ليزا : على بركة الله .

أمن الدولة

اختبأت الفرحة وراء (البشل) المنتشرة في وجه أشرف،
فلا تبدو عليه السعادة، مع أنه قد ولد توأماً جديداً،
فالداخل إلى معتقلات أمن الدولة مفقود، والخارج منها
مولود.

— «الحمد لله».

قالها أشرف محدثاً نفسه.

— بس ياترى أنا هاقدر أقوم بالمهمة دي، أجيب لهم
المعلومات المطلوبة دي منين؟! وإزاي، خلاص يا أشرف
هتشتغل مرشد معفن زى العيال السكة اللي كنت
بتتريق عليهم، ماكنتش أتصور أبداً إن دا ممكن يحصل
في يوم من الأيام، ومرشد لمين؟ للعميد (سيف) بتاع
أمن الدولة، إذا قصرت مش هيرحمني، وإذا أخلصت
الجماعات السلفية مش هترحمني، وأكد هينتقموا مني،
كل واحد هارشد عنه ويدخل السجن بسببي هيكون
فيه تار بيني وبينه، وحياتي كلها هتبقى مرهونة بيوم

مايعرف إن أنا اللي أرشدت عنه، بس أنا أقدر أعمل إيه يعنى ؟! هو أنا أقدر أرفض ولا أفتح بقى ؟! هو أنا كنت متعشم إنى أشوف الأسفلت تانى، المشكلة دى الوقت إنى فعلا مش عارف أقوم بالمهمة دى، طبعاً مش هاعرف، إزاي أعرف أرشد عن ناس أنا ما أعرفهمش، ومش ممكن نتعرف أصلاً، ماينفعش نبقى أصحاب أو حتى معارف، انا ممكن أرشد عن تاجر مخدرات أشتري منه وأسلمه، أو تاجر سلاح أو حرامى جاي لى بمسروقات أصرفها له أو نصاب أو مزور قاعد على القهوة بيكلم زبون، ممكن أسمع وأبلغ عنه، لكن الشيوخ (ورفع صوته بعد أن كان يحدث نفسه سرا) أنا أجيبهم منين ؟ شيوخ طب هو أنا وش شيوخ برضه يا (سيف) بيه؟ أجيبهم منين ؟ وأعرفهم إزاي؟! وأخليهم إزاي يثقوا فى ويتكلموا قدامى، مش عارف أعمل إيه، كدا يبقى أنا وقعت مع العميد (سيف)، أكيد هيفكر إنى مش عاوز أتعاون، وهيحطنى فى دماغه ويضيعنى .

انتقل أشرف سعد و(أحمد قيادة) إلى سكن جديد بعد زواج ليزا، غرفة وصالة فى سطوح منزل بشارع القدس فى عمارة البواب أرشدهما إليها (حمادة) القهوجى الذى رفض أن يأخذ سمسة.

عاد الصديقان سيرتهما الأولى ، فقد كانا يعيشا بمفردهما قبل أن يتعرفا على (ليزا) ، ويسكنا معه فى منزله ، و(ليزا) قد تزوج ، ليس هذا فقط ، ولكنهما شعرا بأن (ليزا) لم يعد يشبهما أبداً ، ومن غير المعقول أن تستمر صداقتهم لأنه أصبح إنساناً جديداً .

تساءل أشرف سعد محدثاً (أحمد قيادة) :

- انت مصدق موضوع (ليزا) دا؟
- التدين والمشيخة ؟! أه طبعا مصدقه .
- فجأة كدا ، بدون مقدمات؟ إزاي يعنى واحد متصيت وشقى ومالى الدنيا يسيب كل دا ويقعد مع العواجيز فى الجوامع طول النهار؟
- إيه اللي انت بتقوله دا ؟! انت شيطان ؟! الراجل ربنا هداه ، ورزقه بواحدة كان وشها حلو عليه ، جت وجابت الهداية معاها ، وخلقى بالك انت عمرك مافهمت (ليزا) ، (ليزا) فيه حاجة لله من ساعة ماعرفته وهو بيحب المشايخ دول ، ومابيسمحش لحد يهينهم ، وعمرى ماسمعتة مرة ببسب الدين زيك على الفاضى وعلى المليان .
- دا فيلم كبير ومصالح مخك الصغير عمره مايوصلها ، العميد (سيف) فهمنى كل حاجة .
- مين (سيف) ده ؟

- دا عميد فى أمن الدولة واحنا بنشتغل معاه دى الوقت.
- احنا يعنى إيه ؟! أنت ومين ؟!
- أنا وانت هنجمع المعلومات، ونكسبه عشان يساعدنا فى كل حاجة، ونبقى رجالته، أمال انت فاكرا احنا طلعا من المعتقل إزاي؟؟!
- انت اللى مش فاهم حاجة، دا عاوزك ترشد عن (ليزا)، عاوزك تبيع صاحبك يا مفتاح.
- ياابنى (ليزا) بيعمل مصلحة كبيرة، يا يقسم معانا، يا على وعلى أعدائى.
- مصلحة إيه بس اللى انت بتقول عليها ؟!
- (سيف) بيه فهمنى ورسانى على الدور كله، فيه دول عاوزه تخرب البلد وتتبع فلوس متلثة، دولارات ياد، للجماعات علشان يخربوا البلد ويقضوا عليها.
- والبلاد دى بتستفيد إيه ؟
- ياعبيط الحرب بتتكلف فلوس كتير قوى، طيارات ودبابات وصواريخ وقنابل، وناس من عندهم يحاربوا ويموتوا، لكن كدا بيوصلوا لغرضهم بأقل التكاليف.
- ياسلام !، أشرف سعد بيتكلم فى السياسة!
- انت معايا ولا لأ ؟

— (أحمد قيادة) مش ممكن يغدر باصحابه اللي كل معاهم عيش وملح.

نظر أشرف إليه مهدداً : قصدك إيه؟

— طبعاً معاك يا صاحبي، بس لازم توعدني إن احنا مالناش دعوة ب(ليزا)، دا أخونا ياجدع، لازم تفهم إن أنا لو قبلت أغدر بليزا ممكن أقبل أغدر بيك لأن انت و(ليزا) اخواتي . سكت أشرف سعد وهز راسه وكأنه اقتنع بما قاله قيادة، ثم قال:

— عموماً احنا هنقابل (ليزا)، ونعرف ميته، يمكن نشتغل معاه فى المصلحة الدولية اللي هو فيها دى ووظف فى العميد (سيف).

وبالفعل اتجه أشرف وقيادة إلى منزل (ليزا)، رن أشرف الجرس، ففتحت (أمل) الباب قائلة :

— أهلاً وسهلاً .

شعر أشرف وقيادة بأن البيت قد تغير، وأن (أمل) تغيرت، وكأنهما يأتيان إلى هذا المكان لأول مرة، بل شعرا بأنهما إضافة شاذة لشقة يسكنها عباد مؤمنون، فهذا هو صوت محمد صديق المنشاوى يجلس بالقرآن، وهذه هى رائحة المسك تفوح من كل مكان.

أقبل ليزا مرحباً:

- أهلا يارجاله (وهو يقبل أشرف وقيادة).
- أشرف: حمدلله على السلامة يا صاحبي .
- قيادة: كفارة يامولانا .
- ليزا: الحمدلله، قدر الله وما شاء فعل .
- أخذ قيادة و أشرف ينظران لبعضهما فى دهشة، لقد
تغير أسلوب (ليزا) فى الكلام، وصار حديثه مثل حديث
المشايخ، لقد أصبح وجهه مضيئاً والبسمة لا تفارقه.
- أشرف: كنت عاوزك فى كلمتين يا شيخ.
- قال (ليزا) وهو يدخل بهما غرفة الضيوف :
- اتفضلوا.
- أشرف: طبعاً انت عارف إن أنا اللي طلعتكم من
المصيبة دى .
- ألف شكر يا حبيبى، جزاك الله خيراً، طول عمرك
شهم.
- احنا من ساعة الحبسة السودا دى وحالتنا زى الزفت
ولازم تشغلنا معاك.
- تشتغلوا معايا؟! مش فاهم... تشتغلوا معايا فى إيه؟
- فى المصلحة.

- مصلحة أيه ؟
- التمويل الأجنبي والدولارات.
- أنا مش فاهم حاجة ، لا حول ولا قوة إلا بالله .
- انت طلعت طيب يا صاحبي ، الناس دول بيشتغلوك ، دول عصابات دولية عاوزين يدمروا مصر ، وبيدفعوا فلوس كتير قوى ، شكلك كدا بتشتغل مجاناً ، والناس اللي معاك هما اللي بياخدوا الفلوس كلها.
- ضحك ليزا ساخراً مما يسمع : مين فهمك الكلام ده ؟!
- أشرف : ناس كبار قوى فى البلد.
- ليزا : ياراجل ياطيب ، تشربوا إيه ؟ أجيب شاى ولا نتغدى الأول؟
- أشرف : انت بتتريق علينا يامولانا ولا إيه؟
- قيادة : لا يا أشرف (ليزا) مايقصدش ، وانت عارف (ليزا) طول عمره حقانى ، لو فيه مصلحة عمره ماخبي علينا.
- ليزا : فعلا فيه مصلحة كبيرة ، أكبر من الفلوس.
- قيادة : إيه هي ؟
- ليزا : أنا لقيت دورى الحقيقى اللي لازم أعيش عشانه.
- أشرف ساخراً : إيه الفيلم الأبيض واسود اللي وقعتنا

فيه دا ياعم الشيخ؟!

— ليزا: الدعوة إلى الله ورسوله.

بهت أشرف من الكلمات الواضحة واللهجة الواثقة التي يتكلم بها (ليزا) فصمت فجأة.

تساءل قيادة بانبهار: هتسافر بره تنشر الإسلام يا (ليزا)؟

— ليزا: دى مرحلة تانية، لكن احنا دى الوقت فى المرحلة الأولى.

تدخل أشرف فى الحوار مجدداً:

— وإيه هى المرحلة الأولى يامولانا؟

ليزا: دعوة المسلمين اللى حولينا للصلاة والعودة إلى بيوت الله وحفظ القرآن الكريم.

نادى أشرف على قيادة قائلاً:

— يلا بينا يا قيادة (ليزا) باين عليه مخه اتلحس واتدروش .

ليزا وهو يضحك: ربنا يهديك يا أشرف .

— قيادة: خلى بالك من نفسك ياليزا .

خرج (أحمد قيادة و(أشرف سعد) وتركها (ليزا) .

أشرف: سلام يامولانا.

بعد أن خرجا من عند (ليزا) قال قيادة:

— ماتيجى نشرب الشاى على قهوة (وزة).

فبادره أشرف: انت ملاحظ إن (أمل) ما عملتش شاى ولا
أى حاجة، ولا حتى قالت اتفضلوا، وسابتنا ودخلت جوه.

— انت عاوز تعمل موضوع وخلص، ماهى قالت اتفضلوا
أول ما دخلنا، بس هى بقت متدينة، واحنا نعتبر
أغرب عنها.

— ازاي دى مرات صاحبنا وأخونا؟!

— عندك حق طبعاً، بس السنية عندهم كدا.

نادى أشرف على (حمادة) القهوجى: هات لنا اتنين شاى.

— حاضر

قالها (حمادة) وهو يتجه داخل القهوة.

ذهب حمادة إلى المعلم (وزة) سائلاً: هو مش الشيخ
(ليزا) ربنا هداه خلاص؟! أmaal العيال الشمال دول جايبين
له تانى ليه؟!

— خليك فى حالك .

— الشيخ (محمد ليزا) بقى حاجة تانية خالص، لو
سمعته وهو بيصلى بينا العشا امبارح مش هتصدق،

صوته جميل قوى فى القرآن يامعلم .

— ربنا يهديه ويحميه من البعدة .

أحضر حمادة الشاى ل أشرف وقيادة :

— اتفضلوا الشاى ياباشاوات.

بادره قيادة:

— تشكر يا ذوق.

بعد أن انصرف (حمادة) سأل أشرف صاحبه قيادة فى
حيرة حقيقية:

— مش قادر أفهم التغيير ده كله حصل إزاي، من الشمال
لليمين مرة واحدة، مش داخل دماغى الموضوع دا.

— أصلك عمرك مافهمت (ليزا) .

— يعنى انت فاهما يا أبو العريف ؟

— عمرك شفت (ليزا) بيشتم، ولا بيضرب راجل كبير، أو
مد إيده على واحدة ست، أو سب الدين، أو افترى
على حد ضعيف، (ليزا) دا بيكرنى بالفتوات بتوع
زمان، ماشاء الله ربنا مديله قوة ماشفتهاش على شاب
فى مصر، وعمره ما استخدمها فى أذية الناس، أو
البلطجة عليهم، (ليزا) كبير وبيحب دايمًا يكون كبير،
ولما بقى مع المشايخ برضه عملوه الكبير، وسمعت إنهم

- عملوه أمير جماعة التبليغ والدعوة فى إمبابة.
- تجددت حيرة أشرف وزادت أكثر فصمت وكأنه يبحث عن رد، بينما أكمل قيادة:
- بصراحة انا لو فى قوته، وحب الناس كلها له، كنت بقيت ملك مش أمير بس.
- يعنى هو كان شيخ ومتخفى وعامل نفسه بطل وفتوة؟!!
- (ليزا) فعلاً بطل، وكان بيدور على نفسه، ومش لاقى الطريق، فاكّر لما جبنا البت ولاء فى الشقة ورفض، وصمم إنه يطردها من البيت، وقال البيت دا محترم ومايحصلش فيه النجاسة دى، ومارضيش يدخلنا البيت إلا لما عاهدناه إن اللى حصل دا مش هيتكرر تانى أبدا؟
- أيوة ساعتها انت قلت دا باين عليه مالوش فى الحريم، عشان البت كانت جامدة جداً وزى القمر.
- لا أنا قلت كدا فى المرة الثانية، لما كنا معزومين عند قرايب الواد شيحا وصاحبة البيت طلعتنا عندها فوق، و(ليزا) رفض برضه، قلت ساعتها الموضوع مش موضوع البيت والسمعة لا دا أكيد مالوش فى الحريم خاصة إنى عمرى ماشفته بيعاكس واحدة.
- بس أهو اتجوز، ولو كان مالوش كان زمانهم اتطلقوا، وبالعكس دول فى منتهى السعادة.

- انت كدا قربت تفهم.
- قصدك إنه كان معانا غلط، ولقى نفسه فى العيشة الجديدة دى ؟
- الله اكبر أخيرا فهمت!
- طيب خلىنى معاك، بيصرف منين ؟
- زى ماطول عمره بيصرف، من الاستديو وإيجار البيت، انت ناسى إن (ليزا) أبوه سايب له ملك ؟! وإنه هو مش صايع زينا؟
- عموما ياخبر النهاردة بفلوس .
- لو غدرت ب(ليزا) هتبقى خسرتنى أنا كمان.
- أنت بتهددنى؟!!
- لا، بس احنا الثلاثة أخوات، وماينفعش نأذى بعض.
- طب هنعمل إيه فى العميد سيف، ونجيب المعلومات اللى هو عاوزها إزاي؟
- ربح نفسك من المشوار دا.
- إزاي؟!!
- أنا هاقوم بجمع المعلومات وأحضر لك كل حاجة، وانت عليك تقابله وتبلغه بيها وبكدا لا يأذينا ولا يأذى أخونا (ليزا) .

— اتفقنا.

أخذ (أحمد قيادة) على عاتقه مسؤولية جمع المعلومات ومنع أشرف خوفاً على (ليزا)، ورأى أن يصارح (ليزا) بكل شيء ويضعه في الصورة، فقد كان من داخله سعيداً جداً بما وصل إليه (ليزا) من حب وتقدير من الناس، ولا يريد له أن يتعرض لأذى، وبالفعل ذهب إليه مجدداً:

— السلام عليكم يا (ليزا).

— وعليكم السلام يا أبوحميد .

— بص يا حبيبي، أنا هاككي لك الموضوع من طأطأ لسلام عليكم .

شرح قيادة ل (ليزا) تفاصيل الاتفاق بين أشرف وأمن الدولة، وحذره من كل المحيطين به، وعرفه أن أمن الدولة بها عميد اسمه (سيف) يراقبه ويعرف عنه كل شيء، فأخذه (ليزا) وذهب به إلى الشيخ خالد كي يتدبروا الأمر. ما إن دخلا حتى بادره (ليزا) محيياً:

— السلام عليكم يا شيخ خالد .

— وعليكم السلام يا شيخ محمد .

— دا صاحبي (أحمد قيادة)، راجل جدع وعشرة عمر.

— أهلا وسهلا بيك يا أخ أحمد .

- أنا كنت قربت أنسى إن اسمى أحمد.
- مش مهم الاسم المهم الإنسان يكون مع ربنا.
- ربنا يوفقك يا شيخ محمد .
- بص يا شيخ خالد، قيادة عنده كلام مهم وخطير، وقلت لازم أخليه يقوله لك عشان تقول لى هنعمل إيه ؟
- بص يامولانا، فيه ظابط فى أمن الدولة مكلف أشرف بجمع معلومات عن الشيوخ اللى فى المنطقة، وطبعاً دا معناه تحريات عن (ليزا) وعنك انت، طبعاً، لأن أشرف مايعرفش أى شيخ إلا (ليزا).
- خالد : وأشرف قال له إيه ؟
- قيادة : أشرف أصلاً مايعرفش حاجة، وكان كل هما إنه يخرج، بس المشكلة دي الوقت إنه لازم يبلغه بالمعلومات، ولازم تكون صحيحة لأنه لو كذب عليه هيوديه ورا الشمس، وهما أصلاً عارفين كل حاجة.
- خالد : سيبنى أفكر، وبكرة أبلغكم باللى المفروض نعمله بالظبط.

خرج (ليزا) وقيادة تاركين الشيخ خالد فى حيرته :

«ماذا نفعل، لو أغلقنا الطريق أمام أشرف سيقوم بإبلاغ العميد (سيف) بمعلومات خاطئة، متضاربة، تثير الشكوك

حول نشاطنا الدعوى، الحل الوحيد إذن، أن نعطي أشرف كل المعلومات الصحيحة، وبكل تفاصيلها وبذلك نفتح صفحة جديدة مع الأمن، كي يجددوا الثقة فى جماعة التبليغ والدعوة وأعضائها .

بدأ قيادة فى تدوين المعلومات التى يملئها عليه (ليزا)، والتى تفيد بأنهم جماعة دعوية، يحفظون القرآن، وقيمون الصلاة فى مواعيدها، ويدعون الناس إلى الحفاظ عليها فى جماعة داخل المسجد، لا يتكلمون فى السياسة، ويرفضون آراء الشيخ (جابر)، ويعتبرون ما فعله فتنة سيحاسبه الله عليها، وأن ذنب كل الضحايا الذين ماتوا أو ألقى القبض عليهم فى رقبته إلى يوم الدين وأنه سيلقى فيه حساباً من الله عسيراً.

دون قيادة كل المعلومات، وسلمها ل أشرف سعد الذى فرح جدا بوفائه بالوعد الذى قطعه على نفسه أمام العميد (سيف)، اتجه إلى (جابر) بن حيان ليلتقى بالعميد (سيف) فى مقر مباحث أمن الدولة .

(سيف) يقرأ ما قدمه له أشرف :

— إليه الكلام الفارغ الذى انت كاتبه ده؟

— والله يا افندم دى الحقيقة، أنا شغال أنا وأحمد قيادة، هو من ناحية وأنا من ناحية، والله يا افندم المجموعة دى نشاطها كذا زى ماقلت لسيادتك.

— عاوز تقولى إن هما بيصلوا وبيحفظوا القرآن طول الوقت،
أمال بيصرفوا منين؟! مصادر التمويل، عاوز أعرف
مين اللى بيمول الناس دول، هى دى المعلومات اللى أنا
عاوزها، مش موضوع الإنشا اللى انت كاتبه دا.

— يا افندم، (ليزا) شاب غنى أصلا وابن ناس، عنده
بيت ملك ومحل مصوراتى مشهور فى إمبابة، وأغلب
الناس بيحفظوا أولادهم القرآن بفلوس، واللى مامعاهوش
فلوس بيحفظ كدا لوجه الله.

— (ليزا) البلطجى بقى شيخ!

— لا يا افندم، الشهادة لله (ليزا) عمره ماكان بلطجى، هو
شاب صحته حلوة ورياضى وقلبه حديد، دا كان بيقتل
شارع لوحده، بس كان بيحمى أهل حتته وبدون مقابل.

— طب روح انت.

رن (سيف) الجرس، فيدخل العسكرى:

— أمرك ياباشا.

— هاتولى (ليزا) من تحت الأرض.

الأمن يحاصر منزل (ليزا)، فرقة كبيرة من قوات الأمن
المركزى مسلحة بالرشاشات، وعربات مصفحة تنتظر خارج
المنطقة لأنها لم تستطع الوصول لضيق الشارع، الباب يكاد
يكسر من شدة الطرق، (أمل) تفتح الباب فى ذغر:

— فين (ليزا)؟

— أفندم.

تعالى يا (ليزا).

سلم (ليزا) نفسه بهدوء لقوات الأمن الذين وضعوا كمامة على عينيه فور دخوله السيارة، وظلت على عينيه حتى وصل غرفة لا يعلم أين هي، ولكن لم يستغرق الوقت أكثر من نصف ساعة فأدرك أنه في مقر أمن الدولة في جابر بن حيان .

ظل (ليزا) في الحبس الانفرادي لا يكلمه أحد ولا يتكلم مع أحد، الحارس يدخل له الطعام مرة في الصباح ومرة في المساء بطريقة ميكانيكية كأنه إنسان آلي لا يرد على أسئلة (ليزا)، ولا يشعر بوجوده مما يلقي الرعب في قلب (ليزا) الذي كاد أن يتوقف من الخوف .

خمسة عشر يوما مضت، و(ليزا) يصلى ويقرأ القرآن و نوى الاعتكاف، وبعد أن يئس من رد السجن لم يعد يسأل .

بعد منتصف ليل الليلة السادسة عشر فتح باب الزنانة وألقى على (ليزا) جثة إنسان مات من التعذيب.

— الله اكبر، حسبى الله ونعم الوكيل، هو فيه إيه ؟!

تفحص (ليزا) الجثة فيجده مازال حيا :

— الحمد لله لسه عايش .

بدأت الغرفة تستقبل وفوداً جديدة، سجيناً آخر، ثم أربعة سجناء، كل المعتقلين لحاهم طويلة، وملابسهم كانت بيضاء قبل أن يرسم عليها الدم صوراً لويلاتهم التى رأوها فى الاستجواب .

أذان الفجر، (ليزا) يؤذن ويدعو زملاءه للقيام للصلاة، ومن لم يستطع فليصل وهو نائم على جنبه، أو حتى يصلى بعينيه، وما إن فرغ (ليزا) من صلاة الفجر حتى سمع صوتاً ينادى عليه من الباب، تقدم (ليزا): - مين ؟

— فيه توصية عليك من فوق قوى، وهتخرج.

— مين ؟ عموماً الحمد لله، على كل حال

بدأ (ليزا) يجمع أغراضه كى يغادر هذا المكان.

صحب العسكرى (ليزا) حتى دخل غرفة العميد (سيف) الذى سلم عليه بحرارة وقال :

— انت راجل جدع يا (ليزا) ولا ياشيخ محمد (ليزا)؟

— أى حاجة يا افندم.

تذكر (ليزا) قول زميله فى المعتقل من أنهم يقبضون على الناس أولاً، ثم يجرون عنهم التحريات اللازمة، فإذا كانوا متورطين قبض عليهم بسهولة، وإذا كانوا أبرياء يطلق سراحهم.

— انت زى الفل.

— جزاك الله خيرا يا افندم.

— صلى زى مانت عاوز، وحفظ العيال القرآن وبلاش موضوع الاعتكاف والخروج فى سبيل الله، لحد ما أقول لك، ولما الدنيا تهدي هاسيبك تخرج فى سبيل الله وتدعو الشباب للصلاة زى ما انت عاوز، ولو أى حد تعرض لك قل لى، ولو حد من الجماعة بتوع جابر اندس وسطكم، أو حاول الاتصال بكم بلغنى فورا.

تذكر (ليزا) قول الشيخ خالد له ومبايعته كأمر لجماعة التبليغ والدعوة، وكأن العميد سيف يعترف به ويتعامل معه على هذا الأساس:

— احنا يا افندم جماعة دعوية .

— التبليغ والدعوة .

— تمام.

— احنا اتاكدنا إنكم بتدعو إلى مكافحة ترك الصلاة، مش صح كدا ؟ ودا غرض نبيل واحنا بنساعده، بس اللي عملوه بتوع السلفية الجهادية خدكم فى الرجلين.

— حسبى الله ونعم الوكيل فى كل من أحدث فتنة تضر بالمسلمين.

— اشتغلوا، وخلوا الناس تصلى وتحفظ القرآن زى ما هما عايزين، بس أهم حاجة لو قابلتوا أى حد بيتكلم فى

السياسة ابعده عنكم، عشان احنا مش هنرحمه ولا نرحم
أى حد متورط معاه .

— أعاهد سيادتك أمام الله إننا مش هنتكلم فى السياسة،
ولا الحكم ولا الانتخابات، ودا ببساطة عشان احنا ما
بنفكرش إلا فى حاجة واحدة .

— هى إيه ؟

— إزاي الناس ترجع تصلى فى الجوامع كل الصلوات فى
جماعة .

— توكل على الله .

خرج (ليزا) من مباحث أمن الدولة متجهاً إلى الشيخ خالد
كى يخبره بالصفقة التى أجراها مع العميد سيف، ويبشره بعودة
الثقة بين الدولة والجماعة، وأن نشاطهم سيعود من جديد.

— الحمد لله، مش قلت لك انت مكسب كبير لجماعة
التبليغ والدعوة يا (ليزا).

— الحمد لله يا شيخ خالد، عاوزين نرجع ونشتغل أكثر
من الأول، ونعوض كل دقيقة ضاعت منا.

— على بركة الله .

— على بركة الله.

حياة جديدة

الحياة الجديدة ترسم لوحة من الرضا على وجه (أمل)، لم تكن تحلم يوماً بأكثر من هذه السعادة والأمان، تزوجت من تحب، ثم صار كما كانت تتمنى، زوجاً مؤمناً، مخلصاً، طيباً، كانت تحلم به فتحقق ما هو أكثر من الأحلام.

— صباح الخير يامولانا.

قالتها أمل وهى تقدم الشاي لزوجها ليذا فى صالة الشقة.

— صباح النور يا حبيبتي، مش قلت لك كذا مرة تقولي لى ياليزا؟ باحبها منك أكثر من أى اسم تانى.

— حاضر، زى ماتحب .

— شكلك خارجة، على فين العزم؟

— عندى مشوار بعد إذنك .

— خير!!

— عاوزه اطمئن على صفاء صحبتى، تصور من يوم الفرح ماشفتهاش ولا مرة، انت عارف ياليزا البنت دى غلبانة

- قوى، ومالهاش حد فى الدنيا غيرى، انت فاكرها ؟
- أه طبعا، عارفها كويس.
- ظروفها ياعينى صعبة جدا من جميع النواحي، أبوها بيعاملها معاملة وحشة قوى، وبياخد فلوسها، ومش عارفة تجهز نفسها، وحالتها صعبة جدا .
- كادت (أمل) تقص على (ليزا) مأساة صفاء مع والدها، ولكنها قررت أن تحتفظ بالسِر، وألا تخبر به أحداً ولا حتى (ليزا).
- لا حول ولا قوة الا بالله.
- نفسى أساعدها قوى ياليزا، دى صاحبة فضل علىّ، أنت فاكر ؟ هى اللى ساعدتنى وخلتنى اتجوزك.
- نساعدها طبعا، ماينفعش نسبها لوحدها مع الراجل المفترى دا، بس إزاي؟
- نخلصها من البيت دا. (قالتها أمل بسرعة)
- أنا ممكن أعمل له قعدة عرب، وأجيب رجالة كبار من المنطقة وناخد عليه تعهد إنه يرحمها من بروده دا، ويسيبها فى حالها، يعنى لو مش عاوز يصرف عليها يسيبها تصرف على نفسها، مش ياخد فلوسها كمان، إيه الرجالة دى؟! لا حول ولا قوة الا بالله.
- لا يا حبيبى، مش عاوزين نفضحها، والناس كلها تعرف.

- أَمال نعمل إيه بالظبط؟
- نجوزها لراجل يراعيها ويحافظ عليها.
- زى مين يعنى؟
- إيه رأيك فى أحمد قيادة؟ شاب جدع وطيب، ونفسه يبقى له بيت يلمه، وأهى الشقة اللي فى التالت هتفضى.
- عندنا هنا؟ مين اللي قال لك؟
- سمعت من الحاجة إنهم بيشطبوا فى بيتهم اللي بنوه فى بشتيل، وهينقلوا فى الوسع هناك شقق كبيرة، وبكدا ياخذ قيادة الشقة الصغيرة دى اللي عندنا بنفس الإيجار، وهما أولى من الغريب.
- انتِ ملاك يا أمل، دايمًا بتفكرى فى غيرك، بس أنا ما أقدرش أغش صاحبى، ولازم أحكى له على كل حاجة.
- بلاش ياليزا، ممكن صفاء تزعل، واحنا مش عاوزين نقصر رقبتها قدام عريسها .
- هو انتِ خليتيه عريسها على طول كدا ؟
- يقولها (ليزا) وهو يضحك، فتضحك (أمل) ثم يكمل :
- بصى يا ستى، ليزا مايغشش أصحابه أبدا، لازم أقول له إنه راجل غير أمين، وعاوز يسرق فلوس البت

وشقاها، وبكدا أبقى ريحت ضميرى، وفى نفس الوقت
نبهته عشان يخلّى باله ويحميها منه .

— اللى تشوفه يا حبيبى .

— كلميها، واعتبرى قيادة وافق .

— ربنا يخليك يا حبيبى ، على فكرة هو بيشتغل إيه؟

— هو يتيم، اتربى فى الملجأ، بس شاطر قوى فى القيادة،
عشان كدا اسمه أحمد قيادة، بيسوق موتوسيكلات،
وعربيات نقل، وجارات، وملاكى، وحفار، وأتوبيسات،
إن كان على الرخصة أنا هاطلعها له .

— خلاص هاقول لها سواق تاكسى، وأهو أولاد الحلال
كثير، نشوف له تاكسى يشتغل عليه وردية، ما
تعرفش قيادة كبر فى نظرى قد إيه لما وقف جنبك
فى موضوع أمن الدولة وكان خايف عليك قوى، قيادة
بيحبك، وأنا أى حد يحبك يبقى أكثر من أخوى،
واللى يخاف عليك أشيله على راسى يا حبيبى .

— ربنا يخليكى يا أمل .

ذهبت أمل لمنزل صفاء، فوجدتها متشحة بالسواد،
وعينيها حمراوين متورمتين من كثرة البكاء .

— إيه اللى جرى، مالك ؟

- النهاردة الأربعين بتاع بابا.
- الله يرحمه، الفراق صعب برضه، والله ما اعرف.
- كانت أمل تريد أن تقول لصفاء ألف مبروك، أن خلصها
الله من هذا الخنزير، ولكنها أمسكت لسانها ولم تنطق
بكلمة.
- إيه اللي فكرك بيّ، أنا حسيت إنك خلاص، بتستعري
منى، وإن احنا ما بقاش ينفع نبقي أصحاب، ما
هو بالعقل يعنى، مرات الشيخ تبقى صاحبة بنت
الخمورجى؟!!
- عيب عليك، اللي مالوش قديم مالوش جديد، وانتِ
أختى، والله كنت فى محنة كبيرة، مش (ليزا) اتقبض
عليه .. وكنت داخلة وراه بين الأقسام، وشفت أيام
سودا، والنبي تسامحينى وماتزعلش منى دا انتِ أختى
وحبيبتى، هو احنا لينا غير بعض؟!.
- بدأت صفاء تبكى وهى تقبل أمل :
- واحشانى قوى والله يا أمل.
- أمال لما تعرفى أنا جاية لك ليه يا عروسة (بابتسامة).
- إيه..... جايبة لى عريس ؟

— طول عمرک تفهمیها وهی طایرة، صاحب (لیزا)، واد
طیب وابن حلال وشکله حلو، سواق تاکسی، مقطوع
من شجرة، لا أب ولا أم، یعنی مش هیكون لك حما،
وحاجز شقة عندنا فی البیت هتفضی بعد ثلاث شهور.

— مین ؟

— أحمد قیادة.

— آیوة عارفاه، شکله ابن حلال، وغلبان زى حالاتی.

— أفهم من کدا إنک موافقة؟

— بس لی شرط واحد .

— إیه هو؟

— بیجی یعیش معانا هنا، یا إما آجی أنا وأمی وأختی
نعیش معاه، أنا ماقدرش آسیب أمی وأختی .

— هابلغه وأقول لك، بس أنا عارفه إنه مش هیرفض لأنه
معجب بیک قوی.

— هو قال لك کدا؟

— أنا كنت بالاحظ وهو بیبص علیک أنه معجب، بس
ما یقدرش یتکلم.

— لیة ؟!

— انتِ متعلمة، معاكِ دبلوم وهو يادوب بيفك الخط، بس
الراجل مايعيبوش حاجة ولا انتِ شايفه إيه؟

— مش عارفة أقول لك إيه، مادومتى شايفة كدا، ومن
طرف (ليزا)، خلاص أنا موافقة.

طاقة أمل جديدة، وباب للتوبة فتح أمام صفاء التى
تحدث نفسها وتخطب ربها :

— اللهم لك الحمد والشكر، خلاص، الواحدة لازم تبتدى
صفحة جديدة، وربنا يسامحنى على اللى فات، وأحمد
قيادة شاب ممتاز، ولازم أقف جنبه، وأبقى أهله اللى
اتحرم منهم، وأخليه أحسن راجل فى الدنيا.

ثم بدأت تسائل نفسها :

«ولكن هل أستطيع أن أتغير؟ هل من حقى أن أحاول
تغيير مصيرى، هل أستطيع تغيير النتائج الحتمية لأفعال
اضطرتنى ظروفى أن أقوم بها، أشياء فرضت علىّ، مع أنى
كنت ومازلت غير راضية عنها، أم أننى خلقت من أجل
هذا المصير، ومهما حاولت فكل المحاولات ستبوء بالفشل،
وكل الطرق ستصل بى إلى نهاية واحدة، محددة، وثابتة».

ظلت صفاء وحدها فى المنزل بعد أن تركتها أمل،
والتى أعطتها فرصة للبداية من جديد، جاءت تحدثها عن

رجل، وبيت، وحياة جديدة، يمكنها أن تبدأ من جديد،
نعم يمكنها أن تتغير.

وانتقلت بتفكيرها في ذاتها إلى تفكيرها في أمل نفسها:

مين كان يصدق إن أمل - اللى كانت حلم كل شباب
المنطقة، واللى كانت بتتعايق بشعرها الطويل ووشها
الجميل، وجسمها الروعة تتحجب، وتدارى جمالها،
وتلبس اللى هى لابساه ده، وتبقى داعية للخير، و(ليزا)
يبقى شيخ، والناس تسمع كلامه برضه، ويكبروه زى ما كان
زمان، مين يصدق؟! أنا كمان هابدأ مع (أحمد) حياة
جديدة بما يرضى الله، إيه المانع، هو أنا يعنى كنت
شيطانة، هو أنا يعنى لو كان لى أب محترم زى باقية الناس
كنت عملت اللى عملته دا؟!!

حسمت صفاء أمرها، وقررت الموافقة على أحمد قيادة.

لم تمر أيام كثيرة، وبينما صفاء فى بيتهم رن جرس
الباب فأسرعت ثناء تفتح الباب :

— مين حضرتك؟

أحمد قيادة وعلبة الشيكولاتة بيده:

— آنسة صفاء موجودة.

ثناء : أيوة اتفضل، انت العريس، أنا عرفتك، يا صفاء
العريس جه وجاب معاه شيكولاتة .

تخرج صفاء وأمها من الغرفة لتستقبل قيادة والفرحة
ترقص فى عينيها.

سلمت أم صفاء على العريس قائلة :

— أهلا يا حبيبى ، شرفتنا ونورتنا.

وأكملت صفاء :

— أهلا يا أستاذ أحمد ، اتفضل.

بدت صفاء وأختها الصغيرة ثناء والأم فى سعادة لم
يعرفنها من قبل ، فهذا البيت الذى كان دائما واحة للنكد
والعراك الدائم يبدو أنه قد آن له أن تدخله السعادة لأول مرة.

بدأ أحمد الكلام محدثاً أم صفاء :

— بصى ياماما ، أنا ابن بلد ودوغرى ، وباحب أدخل فى
المواضيع عدل ، مالىش فى اللف والدوران.

— باين عليك يابنى ابن حلال وقلبى اتفتح لك من ساعة
ما شفتك.

— الله يخليك ياماما ، تسمحى لى أقول لك ياماما ؟ أصلى
أنا عمرى ما قلتها لحد من قلبى ، كنت باقولها لمديرة
الملجأ اللى اتربيت فيها ، بس مش من قلبى ، والنهاردة
أنا باقولها لحضرتك من قلبى والله ، وربنا يعلم.

أنا جاي النهاردة عشان أبقى واحد من العيلة دى،
مش مجرد جوز بنتك صفاء، لا أنا عاوز أبقى ابنك وأخو
ثناء، وتبقوا عيلتى الللى اتحرمت منها.

تأثرت صفاء بكلام أحمد، الصادق، الخارج من القلب،
إلى حد البكاء فقالت من بين دموعها :

— ما كنتش عارفه إنك حنين كدا، وقلبك كبير قوى كدا
يا (أحمد) .

بدأت صفاء تنظر لأحمد نظرات حب وإعجاب، فقد
ظهرت جوانب رائعة فى شخصيته، لم تسمح لها الظروف
أن تعرفها قبل اليوم.

— تشرب إيه؟

— شربات بقى، ولا أيه رأيك يا عروسة ؟

هنا تدخلت أم صفاء :

— قومى هاتى الشربات يا ثناء.

فقالت صفاء: لا، أنا الللى هاقوم أجيب الشربات، مش
أنا العروسة، وهازغرد لنفسى كمان.

بدأت صفاء تزغرد، وتعلن للجيران أن هذا البيت أصبح
له رجل محترم مسئول عنه، فقد أصبح زوجها أحمد
قيادة هو رجل العائلة.

الشيخ جابر

فى إحدى قرى الصعيد، وتحت حراسة مشددة من أنصاره، بدأ الشيخ (جابر) يعيد ترتيب الأوراق، ليعاود الانقراض مرة أخرى، ويحقق أحلامه التى اتسعت، فبعدما كان حلمه الانفصال بإمبابة ومراكزها، أصبح يطمح الآن إلى السيطرة على مصر كلها، ويرى فى نفسه المنقذ الذى يملك القدرة على حماية مصر من العلمانيين الكفار، الذين نهبوا خيراتها، ويحرمون المسلمين الذين يمثلون أغلبية الشعب، من كل شئ .

بدأ (جابر) بالتخطيط للقيام بعمليات عسكرية تستهدف أقسام الشرطة وضباط أمن الدولة فى محافظات متفرقة فى الوقت نفسه حتى ينهك أجهزة الأمن، ويشتتها فلا تستطيع مقاومته، والقبض عليه .

(جابر) يحدث صديقه حسن :

— عملية بكرة تعتبر أهم عملية فى عمر الجماعة، اللهم انصرنا على أعدائنا، وأعدائك يارب العالمين.

قال له حسن :

— احنا اتورطنا فى الدم خلاص، ومابقيناش نقدر نرجع،
بس لازم نخلى بالننا يا(جابر).

— قصدك إيه ؟

— نسف كوبرى إمبابة هيهز العالم، خاصة إنه هيسبب
موت وجرح ضحايا كتير قوى، وإن الجناح العسكرى
كله من سكان إمبابة، يعنى اللى هيموتوا دول
عائلاتهم، وجيرانهم، وكلهم مسجلين عند أمن الدولة،
يعنى تحركهم لتنفيذ العملية كمان هيكون صعب جدا،
وهروبهم بعد تنفيذ العملية هيكون مستحيل.

— هى دى الخبطة الكبيرة اللى هتقضى على سيف ورجالته.
— ربنا يستر .

يدخل أحد مساعدى الشيخ :

— أخبار سيئة يامولانا .

— إيه اللى حصل ؟!

— اتقبض على أفراد الجناح العسكرى، السبعتاشر مجاهد
كلهم، سبعة استشهدوا، وعشرة وقعوا فى الأسر.

— إنا لله وإنا إليه راجعون، لا حول ولا قوة إلا بالله، إزاي
دا حصل ؟!

- إخبارية من واحد مرشد فى إمبابة .
- لازم تسألوا مصادرنا فى الداخلية، وتعرفوا مين ورا فشل العملية، مين اللى سلم رجالتى على طبق من فضة ل(سيف).
- الأخبار بتقول إنه مرشد، عيل سوابق اسمه أشرف سعد، هو المرشد بتاع المنطقة، وبلغهم بأن مجموعة سكنوا جديد فى شقة مفروشة فى شارع الاعتماد، وكلهم مشايخ، وجات معاه صدفه.
- صدفه ؟ إزاي، لازم تعرفوا لى مين أشرف سعد دا .
- أشرف دا واد بلطجى مالوش فى الطور ولا فى الطحين، هما تلات عيال شغالين مع بعض ورجليهم شيلاهم، أشرف سعد وأحمد قيادة و(محمد ليزا).
- مش (محمد ليزا) دا اللى عامل نفسه شيخ ؟ مش دا تلميذ خالد ؟ هو الشيخ (إبراهيم عزت) دا وراى وراى، إن ماكانش هو، يبقى واحد من أتباعه الخونة اللى باعوا الإسلام، واشتغلوا مع الحكومة ضد دينهم وربهم.
- قال حسن :
- كفاية بقى، حرام عليك يا(جابر)، انت عارف إن الكلام دا مش صح، كل اللى بتقوله دا غلط .

— اطلع بره، اطلعوا كلکم بره، وأنا لى حساب كبير مع
(ليزا) وخالد، وكل تيار التبليغ الخانع، اللى بيسلم
المجاهدين لزبانية السلطة.

فى هذا الوقت وفى إمبابة كان أشرف سعد یرن جرس
منزل (ليزا) .

— اتفضل يا أشرف .

یدخل أشرف ويسلم على صاحبه، ثم یجلس وهو یتفحص
(ليزا) مندهشاً من التغير الكبير الذى طرأ علیه، ملابس
بيضاء ناصعة ورائحة المسك، ولحيته الطويلة، ووجهه المنیر .
باده أشرف قائلاً:

— أنت عارف أنا باحبك قد إيه، دا عيش وملح، وفرحت
لك قوى، شيخ كبير ومتصيت برضه یاأخى، (ليزا)
دايما كبير فى أى حنة، وفى أى مجال بيبقى الرئيس.

— وأنا باحبك يا أشرف دا احنا أخوات .

— عشان كدا أنا جاى أحذرك.

— تحذرنى ؟!

— مؤامرة كبيرة بتحصل حواليك.

— قل لن يصيبنا إلا ماكتب الله لنا (قالها ليزا وهو ثابت).

- أمن الدولة باعونا، وبقينا فى خطر.
- صلى على النبى واهدا واحكى لى بالراحة.
- جهاز أمن الدولة سرب معلومات عن طريق المرشدين إن احنا اللى أرشدنا عن خلية كوبرى إمبابة.
- وهما يعملوا كدا ليه؟! (قالها ليزا مندهشا)
- والله ما عارف، والشيخ جابر حالف إنه هيخلص علينا أنا وانت، وأقسم بالله إن كل راجل من رجالته هيكون قصادة عشرة من جماعة التبليغ، وإنه هو اللى هيقيود العملية بنفسه.
- أجاب (ليزا) وكأنه يستعيد شخصيته الأولى :
- ييجى أهلا وسهلا، وأنا أطلع له لوحدى، وبعون الله أكسحه وأخليه يزحف من أول قهوة (وزة) لغاية ناصية سور الصنايع.
- أنا عارف طبعا إن انت كفاءة، ماحدش ينكر، وقلبك قاعد، وتقدر تجرّى كتيبة منهم قدامك، بس الموضوع كبير، وبقى معاهم قنابل بتتفجر عن بعد، ورشاشات، دى مش خناقة، دى معركة حربية، وأنا خايف عليك.
- خليها على الله .

عبير

أحدث خبر زواج صفاء صدمة كبيرة لعبير التى كانت حياتها مستقرة منذ عقدت معها الصفقة المريبة، ماذا أفعل؟ هل سأعود مرة أخرى للبحث عن غيرها ينقذنى من حالة الضياع والحرمان التى سأعود إليها من جديد؟

مع أنى لم أشعر يوما بالسعادة الكاملة مع صفاء، لكنى لا أستطيع أن أعيش بدونها، أعرف أنها لم تحبنى يوما، وأنها كانت تفعل معى كل ما أريد من أجل المال، ولكنى كنت أحبها وأخلص لها، لماذا تتخلى عنى وتتنازل عن حبى لها بهذه السهولة ؟ ماذا أفعل ؟

وجدت (عبير) نفسها أمام بيت (صفاء) ويدها ترن جرس الباب.

صفاء : اتفضلى .

— صحيح اللى سمعته دا؟

سألته عبير والحزن يهزمها وكأنها امرأة سمعت خبر زواج زوجها من أخرى .

صفاء تضحك وتقول فى سرها (يابنت المجنونة) ثم
تقول :

— تعالى يا عبير ادخلى .

عبير : أنا جاية أسالك سؤال واحد، أنا قصرت معاك
فى حاجة ؟! أنا إيه ذنبى، تغدرى بى بالقسوة دى ليه،
أنا عملت إيه ؟!

— بص يا عبير انتِ مش محتاجة لى، ولا محتاجة لأى
واحدة .

سألتها عبير وهى تبكى :

— دى الوقت بتقولى كدا؟

— هى دى الحقيقة، انتِ بتخلينى أعمل اللى نفسك
الرجالة تعمله فيك، انتِ سليمة، وبتحبى الرجالة أنا
متأكدة.

— إزاي ؟

— لما بنبقى مع بعض، دايمًا بتنادينى باسم راجل،
وبتتصرفى معايا دايمًا كأنى راجل وانتِ ست، انتِ
مش شاذة، انتِ سليمة بس عندك مشكلة وحلها
بسيط، مشكلة نفسية.

عبير تتألم وتبكى وهى تسمع كلام صفاء .

تكمّل صفاء :

— أنا مش عاوزاك تعيطى، هى دى الحقيقة، علاقتك بأختك كانت يتسعدك عشان كنتوا بتقضوا وقت طويل، أكثر من ساعة مع بعض، وانتِ بتحبنى كدا، فترة طويلة، وبعدها ممكن يحصل كل شئ.

— يعنى أنا انفع مع راجل ؟!

— طبعا انتِ زى الفل، بس الراجل دا لازم يكون فاهم، انتِ محتاجة وقت طويل لل هزار، مش يبقى زى الحمار اللى كنتِ متجوزاه.

— قصدك الحمارين (وتضحك) .

— هى دى الحقيقة، انتِ جميلة وغنية، ماتعديش حياتك، اتجوزى، ومافيهاش حاجة لما تفهمى جوزك على طبعك، مافيهاش حاجة أبدا، عارفة يا عبيير انتِ عاوزة راجل حقيقى من بتوع زمان، راجل يكون صاحب مزاج، يفضل يرقص فيكى، ويدلّعك ساعتين تلاتة، وانتِ تاكلييه بسنانك بعد كدا، مش العيال الفافى بتوع اليومين دول .

تأكدت عبيير أن قرار صفاء نهائى، وأن علاقتها بها قد انتهت للأبد.

— ألف مبروك يا صافى .

— حطى الكلام اللى أنا قلتَه فى دماغك، انتِ إنسانة طيبة، لو اتخلصتِ من العيب الوحيد اللى فيكِ، هتبقى أحسن واحدة فى الدنيا.

— هاحاول، فعلا لازم أواجه المشكلة دى، ولازم أحلها.

عادت عبير إلى الكوافير بعد أن استسلمت للواقع الجديد، وكل الأحداث تدور فى رأسها، ففى كل الأحوال لم تعد صفاء ملكاً لها، كل شئ عاد إلى نقطة الصفر، لقد كانت صفاء تؤدى مهمة مقابل المال، لم تحبنى أبداً لذلك أنهت العلاقة بمنتهى البساطة، لقد خانتنى، خانت حبى وإخلاصى لها، فأنا لم أعرف أى سيدة أو فتاة طوال فترة علاقتنا، وكنت أرفض البنات اللاتى يعرضن أنفسهن علىّ، نعم كنت أحبها حبا عميقا مع أنى كنت واثقة من أنها لم ولن تحبنى أبداً.

تنازلت عنى بهذه السهولة ولكنى لن اتنازل عن حبى لها، فقد عشنا سنة كاملة من أجمل سنوات العمر .

عبير تجلس على كرسى المكتب المخصص لها فى الكوافير بينما تدخل فتاتان.

إحدى الفتاتين :

— مساء الخير.

— مساء النور يا حبيبتي .

- قالتها عبير وهى تتفحص الفتاة الأخرى ، كأنها تعالينها .
- عاوزه أعمل شعري زى شعر صفاء (وتشير إلى الفتاة الأخرى)
- قوى قوى يا حبيبتي
- ثم تنظر لصفاء متسائلة :
- هو انت اسمك صفاء ؟! سبحان الله .
- خير ، هو فيه حاجة يامدام ؟!
- أعز صديقة لى كان اسمها صفاء ، سافرت الخارج مع جوزها النهاردة ، بيقطع من حنة وبيوصل فى حنة ، هو انت بتشتغلى يا صفاء ؟
- بادور على شغل .
- ردت عبير وكأنها أسد وجد فريسة ويخشى هروبها فقرّر الانقضاء عليها بسرعة :
- أنا محتاجة لحد زيك ، يكون معايا فى الكوافير والبيت وكل حنة .
- يعنى إيه يامدام ، شغالة ؟! انت فهمتيني غلط ، أنا متعلمة ومعايا دبلوم .
- سكرتيرة .

— أنا موافقة، وهى تنظر لصديققتها : بصراحة الشغلانة
دى جاية فى الوقت المناسب.

— فعلا يا حبيبتي، وانتِ كمان جيتى فى الوقت المناسب
ماتعرفيش اللي قبلك كانت مريحانى قد أيه وشايفة كل
طلباتى بس النصيب بقى، اتجوزت، على فكرة كانت
جميلة زيك، واسمها صفاء على إسمك.

— ربنا يخليكى يامدام، وأقدر أنزل الشغل من أمتى ؟

— من دى الوقت

قالتها عبير وعيناها ترقص فيها الفرحة : هو النصيب
كدا، تمشى صفاء، تيجى صفاء غيرها وأحسن منها،
وتضحك (عبير) والفتاتان فى دهشة .

أمن الدولة

اجتماع كبير فى مبنى مديرية أمن الجيزة يضم كبار القيادات الأمنية، رجال من مباحث أمن الدولة، والأمن العام، ورئاسة الجمهورية الذين تلاقوا فى الساعة السابعة صباحاً، وكأنهم قضوا الليل فى انتظار شروق الشمس.

العميد (سيف) يرأس الاجتماع بكلماته المعتادة، التى يبدأ بها كل الاجتماعات مع القيادات الأمنية وكأنه يدافع عن النظريات الحديثة التى درسها فى الخارج، والتى يرفض معظم الحضور تطبيقها، فهو يؤمن بأن علم نفس الجريمة الذى يدرس الدوافع التى تجعل المجرمين يقومون بهذه الجرائم يقدم لنا حلاً، فإذا قضينا على الدوافع لارتكاب الجرائم منعت أو قللت إلى حد كبير.

الكل هنا يرفض طريقة (سيف) فى الاستجواب والبحث الجنائى، ويتهمونه بأنه خيالى، ونظرياته لا يمكن أن تطبق فى مصر .

سيف :

— احنا كدا بنقضى على الإرهابيين ونقبض عليهم، ولكن سيأتى غيرهم مئات لأننا لا نقضى على الإرهاب، علينا أن نحارب الإرهاب لا الإرهابيين.

العميد معتز :

— مافيش داعى للطريقة دى ياسيف باشا، مش وقته، البلد بتضيع، عندنا عيال مجرمين لازم نجيبهم ونولع فيهم كلهم، دول مش بنى آدمين، ولو اديناهم فرصة يتنفسوا هيلعوا فينا وفى البلد كلها.

— حضرتك مش فاهمنى يامعتز باشا .

يقف معتز بعصبية مهدداً :

— أنا كده مش هأكمل الاجتماع.

يتجاهله (سيف) ويوجه كلامه للآخرين : العيال دول بيعملوا كدا ليه ؟ هو دا السؤال اللى احنا لو جاوبنا عليه صح هنقضى على الإرهاب، من السهل جدا نحبس العيال دول أو نصفيهم، بس هيطلع غيرهم أكثر شراسة وعنف، خلوا بالكم ياباشاوات من كلامى كويس، لازم نقضى على الإرهاب وأسبابه.

معتز :

- أمال احنا بنعمل إيه؟! وأولادنا اللي بيضحوا بحياتهم كل يوم، دا احنا شغالين ليل ونهار.
- احنا فعلا بنقضى على الإرهابيين، ودول مجموعة أشخاص، لكن بنقوى ونغذى الفكرة وهى الإرهاب اللي بيكبر يوم بعد يوم.
- الكلام ده لا هيودى ولا هيجيب .
- الإرهاب فكرة ولازم نقضى عليها بالفكر والمناقشة، عاوزين العلماء يزوروا المعتقلين ويتحاوروا معاهم، دا لو لحقنا الولاد الصغيرين المغرر بيهم يبقى كسبنا مكسب كبير، لكن شعورهم بالظلم بيديهم مبرر جديد يرسخ الفكرة فى دماغهم، ويديها قوة وجاذبية، فيعجب بيها كثير من الشباب اللي بيسيطر عليه فكرة إننا بنحارب دين ربنا وإننا كفار.
- كفار إزاي؟! احنا عارفين ربنا كويس يا (سيف) باشا، والعيال دى عارفين كدا، وبيخربوا فى بلادهم عشان الدولارات اللي بتجيلهم من بره.
- أنا شايف إن احنا لازم نقضى على أسباب الإرهاب واحنا بنقبض على العيال دول اللي بيرتكبوا جرائم جنائية، أما اللي عندهم أفكار متطرفة، مجرد أفكار، لازم نتحاور معاهم بمساعدة أهل الفكر والدين، لازم نواجه الفكر بالفكر.

— أنا منسحب من الاجتماع يا جماعة ومعترض على كل
اللى قاله (سيف) باشا، وهاقدم مذكرة لمعالى وزير
الداخلية لإعفاى من الاشتراك فى العملية دى.

(هرج ومرج فى القاعة، الضباط يحاولون إقناع معتز
بالتراجع عن قراره ومواصلة الاجتماع حتى نهايته، فيقبل
على مضض)

يواصل (سيف) حديثه :

— يعنى مثلاً الجماعات دى مش شكل واحد، مع ذلك
احنا بنتعامل معاهم كأنهم حاجة واحدة، ودا غلط،
يعنى السلفية الجهادية مثلاً بيكرهوا التبليغ والدعوة،
فاحنا ممكن نخليهم هما يصلحوا أفكار بعض، بمعنى
إن احنا لو اتحنا الفرصة لجماعة التبليغ والدعوة
تشتغل هينضم ليها الشباب المتدين بدل ما ينضم
للجماعات التكفيرية، وبكدا يمارسوا نشاطهم فى الصلاة
وحفظ القرآن ودعوة الناس للصلاة، فالناس دول بيعتبروا
الثورة فتنه وحرام، والخروج على الدولة والنظام حرام
شرعاً، وبيمنعوا أعضاءهم من الكلام فى السياسة، لازم
نساعدهم، وهما اللى يجتذبوا الشباب، بدل ما ينضموا
للجماعات اللى بتحاربنا ليل ونهار.

سأله أحد الضباط :

— حضرتك مش شايف إن دا هياخد وقت طويل، يكون العيال دول خلصوا على البلد؟

أجابه (سيف):

احنا لازم نشتغل على التوازي، بمعنى إن القوات تقبض على الإرهابيين وتقضى على الإرهاب فى نفس الوقت.

— يا افندم أنا آسف حضرتك، بس عاوز ألفت نظر حضرتك .

— اتفضل.

— الرئيس السادات حب يعمل فكرة التوازن دى، وكانت نهايته الفشل واستشهد هو على إيد الإرهابيين.

وجدها (معتز) فرصة للتدخل فى الحوار برؤيته :

— التبليغ أو السلفية أو أى اسم لأى جماعة كلها أسماء مختلفة، كلهم ليهم نفس الهدف، القضاء على نظام الحكم وعودة الخلافة، بس كل شيخ وله طريقة.

— القضاء على الإرهاب لازم يكون بالفكر، أنا متأكد إن القوة لوحدها عمرها ما تهتقى على الإرهاب

قالها سيف بصوت عالٍ موجهاً كلامه إلى معتز، ثم أكمل:

— ماينفعش نفضل طول الوقت ننشف فى الأرض المبلولة ونمسحها واحنا سايبين الحنفية مفتوحة، لازم نقفل الحنفية الأول.

— أنا هاسيبكم وابعثلكم سباك يشوف موضوع الحنفية دى، باسجل اعتراضى على أسلوب إدارة الأزمة .

— دى حاجة ترجع لك يا افندم .

خرج (معتز) من حجرة الاجتماعات وهو يردد :

— البلد بتضيع ولسة هنتكلم !؟

رفع (معتز) المذكرة التى وعد برفعها لوزير الداخلية، ورأى الوزير إعفاء سيف من المهمة وإسنادها للعميد (معتز) كى يقضى بقبضته الحديدية على الإرهابين فوراً.

سيارات الأمن المركزى تملأ شوارع إمبابة، القبض العشوائى عاد من جديد، الكمائن تمركزت أمام المساجد الكبرى، تعتقل المصلين فور خروجهم من المسجد، كل الملتحين يتم القبض عليهم فى كمائن الشرطة دون سؤالهم عن شئ، فاللحية تكفى وحدها كدليل إدانة، وجريمة تؤدى إلى المعتقل.

انكمش الشيخ (جابر) وأرجأ أفكاره المتعلقة بالانتقام حتى تهدأ ربح (معتز) العاتية التى ستقتلع كل شئ.

صاح جابر رفيقه حسن بما يدور فى ذهنه :

— وصول معتز فيه خير كثير، كفاية إنه هيخلصنا من
ليزا وأصحابه، وهياخد بتارنا منهم.

— يعنى إيه الكلام دا ؟

— (معتز) مايفرقش بينا وبين خالد و(ليزا)، كلنا عنده
زى بعض، أى واحد لابس جلابية بيضا وله دقن يبقى
إرهابى، فاحنا لو اتدارينا وطلعنا من الصورة، معتز مش
هيلاقى قدامه غير التبليغ والدعوة يفرمهم ويخلصنا
منهم ومن شرهم.

— انت مش ممكن تكون بنى آدم، انت أكيد شيطان،
حسبى الله ونعم الوكيل.

— انت بتقول إيه؟

انصرف حسن مرددا : حسبى الله ونعم الوكيل، وقرر
الانشقاق عن (جابر) وجماعته وإبلاغ الشرطة عنه ولكن
بعد تحذير (ليزا) من شروره أولاً، ولكى يستطيع أن يصل
للقاهرة بسلام كان عليه أن يحلق لحيته، وأن يرتدى ملابس
شبابية، ففعل على مضض، وفور وصوله اتجه إلى بيت
(ليزا).

«السلام عليكم» قالها حسن لليزا الذى قام ليستقبله فى
بيته دون تردد وبثقة :

- وعليكم السلام يا أخ حسن.
- ربنا يثبت خطاكم، باسمع عنكم كلام عظيم.
- بارك الله فيك، انت عارف الشيخ خالد؟
(وهو يشير لخالد الجالس معه)
- طبعاً، أخ كريم من تلاميذ الشيخ إبراهيم عزت، كنا
كلنا بنتعلم سوا فى مسجد أنس بن مالك، وياما
خرجنا سوا فى سبيل الله.
- هنا يتدخل خالد فى الحوار:
- كلنا تلاميذ الشيخ ابراهيم حتى جابر، ولكنه انحرف
عن مسار التبليغ والدعوة.
- يؤمن حسن على كلامه مكماً: ضيعنا وقضى علينا.
- خالد: لا ياشيخ حسن، انت قيمة كبيرة، وهتفضل فى
خدمة الدعوة.
- حسن: بارك الله فيك، أنا انفصلت عن جابر للأبد.
- (ليزا): بس انت عارف إنهم مش هيسيبوك بالسهولة
دى، دول بيصفوا أى حد يخرج عليهم حفاظاً على السرية.

حسن: «قل لن يصيبنا إلا ماكتب الله لنا»، أنا مش مهم يا أخ ليزا، المهم انتم، وأنا عارف انتم تعبتوا قد إيه عشان تلموا شمل الجماعة بعد ما تفككت.

(ليزا): الأمن عارف إن احنا مالناش فى التخريب والإرهاب.

حسن: أنا مش خايف عليكم من الأمن، أنا خايف عليكم من الشيطان، اللى اسمه (جابر)، اللى عاوز ينتقم منك.

(ليزا): ماتشغلش بالك بالموضوع دا، احنا بعون الله هنخليه يندم لو فكر يأذينا .

اشتد عود ليزا، وازدادت قوته بانضمام حسن الذى بايعه هو الآخر فأضاف مكسبا جديدا لجماعة التبليغ والدعوة .

أسير

«أنا متأكدة أن السعادة التى ستغمره لن تترك فى قلبه ولو مكاناً صغيراً جداً للغضب، هل سيغضب (ليزا) منى ؟ لا .. أنا أعرفك يا حبيبى جيداً، فأنت حبى الكبير، كنت أريد أن أتأكد أولاً أن حبك قد طرح أول زهرة فى أحشائى، وأن غرامنا سيصير لحماً ودماً، وقريباً جداً سيمشى على الأرض، ويناديك بابا وينادينى ماما».

تأكدت أمل من حملها - الذى كانت تشك فيه منذ شهرين، ولم تخبر (ليزا) بالخبر السعيد إلا بعد أن تأكدت.

لم يصدق (ليزا) أذنيه وسارع يحتضنها قائلاً:

— ألف مبروك يا حبيبتى.

— بالراحة هتفحص محمود.

— خلاص بقى لينا عيلة كبيرة (قالها ليزا فرحاً).

— لو ولد هنسميه محمود على اسم والدك، ولو بنت هنسميها أمينة على اسم أمى.

قال وهو يبتسم ابتسامة عريضة تكشف عن بعض ما
يشعر به من السعادة:

— إن شاء الله لو بنت هنسميها (أمل)، ولو ولد هنسميه
(ليزا)، عشان أنا كان نفسى يبقى اسمى (ليزا) فى البطاقة.

أصوات سيارات الشرطة، وعساكر الأمن المركزى تضرب
الأرض فتحدث صوتاً مرعباً، أمل تنظر من الشباك :

— الحق يا (ليزا) البيت متحاصر والحكومة مالية الشارع .

(ليزا) ينظر ويتعجب، العساكر يصوبون البنادق الألية
نحو (ليزا)، وكتيبة كاملة تقتحم الشقة، الضابط يضرب
(ليزا) الذى لا يقاوم أصلاً ويطره أرضاً، ثم يضع
الحديد فى يديه وقدميه ويصل السلسلة بينهما حتى لا
يستطيع الفرار، وأمل تصرخ: «حسبى الله ونعم الوكيل».

قوات الأمن تصوب الرشاشات نحو (ليزا) بعد أن أنزلوه
إلى الشارع واقتادوه فى منتصف دائرة من الجنود مكبلاً
بالسلاسل، فى طريقهم إلى السيارات التى لم تستطع الدخول
من سور الصنائع، والتى ستوصله إلى ما وراء الشمس .

الناس تنظر لهذا المشهد بحزن ودهشة، و(ليزا)، يسير
بخطى ثابتة مبتسماً راضياً، مردداً: لاحول ولا قوة إلا بالله.

لا أحد يعرف إلى أين ذهب (ليزا)، فى أى نقطة خلف الشمس، فزوجته الحائرة كلما سألت عنه فى قسم إمبابة وفى أمن الدولة لا تسمع إلا رداً واحداً: «هذا الاسم غير مسجل لدينا».

ولو ذكر أحد جيرانه أنه متأكد أن (ليزا) هنا فى قسم إمبابة، فقد اقتادته الشرطة أمام أعيننا، ونحن جيرانه، كان مصيره الاعتقال فوراً، فوصلت الرسالة للجميع، مجرد السؤال عن (ليزا) يجعلك تلقى مصيره المجهول نفسه، و(أمل) مازالت تبحث عن زوجها، ولم تفقد الأمل فى العثور عليه رغم مرور كل هذه السنوات، وكلما نظرت لولدها محمد شعرت وكأنها ترى (ليزا)، محمد الذى أرادت أن تسميه ليزا ولكن موظفة الصحة نصحتها بالأسمه مركباً، (محمد ليزا)، ولدها، ثمرة حبها الكبير الذى أهلكتها أسئلته عن أبيه، فبعدما كانت تقول له حين كان صغيراً إن أباه خارج فى سبيل الله فى الهند، وسيعود بعد عام أو عامين، أكدت له أن مايسمعه عن والده من الجيران، وأهل التبليغ والدعوة صحيح، «نعم ياولدى اعتقله الظالمون لأنه كان يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة».

كبر (محمد ليزا) الصغير فى بيئة ربانية كما أوصى
أبوه، فعملت أمل على تحفيظه القرآن، فختمه قبل أن يتم
الثامنة من عمره، ودرس علوم الحديث، وصار من طلاب
العلم الذين ذاع صيتهم وهو فى الرابعة عشر من عمره،
ففرحت به فرحة لم تستطع أن تنسيها حزنها على أبيه
الحبيب، الذى خطف من بين يديها وأمام الناس جميعا
واختفى ولا تعرف مصيره.

ليزا الابن

«الحمد لله الذى وفقنا إلى ما يحبه ويرضيه ، التأم شمل جماعة التبليغ والدعوة، وانضم إلينا الكثير من أنصار (جابر) ، ليتك معى يا أبى ، ليتك ترى بعينيك نجاحنا الذى ضحيت بنفسك فى سبيله».

بهذه الكلمات هنا (ليزا) الابن نفسه حين رأى جموع المبلغين تملأ ساحة مسجد الصحابة ، وتفتersh الشارع حتى أغلق شارع سور الصنايع .

التف الناس حول الشاب الصغير الذى مثل عندهم المعجزة، فهو يشبه أباه فى الملامح ويفوقه فى العلم ، حتى أن البعض زعم أن روح الوالد الطاهرة قد سكنت جسد الغلام. استخدم (ليزا) ذكاه فى الدعوة فأبقى على لقاء الثلاثاء الذى كان الناس يخرجون فيه لملاقة (جابر) ، وحول وجهتهم إلى مسجد الصحابة ، ليتعرفوا على جماعة التبليغ والدعوة، فاستوعبت الجماعة معظم الشباب المتحمس الذى يريد أن يسهم فى نشر دين الله والسير على خطى النبى وأصحابه.

انضم المئات للجماعة مبايعين (ليزا) الابن أميراً لجماعة التبليغ والدعوة حتى يعود الأميرالشيخ (محمد ليزا) والده.

بدأت الجولات على المقاهى والمحال التجارية وفى الأسواق، وانطلقت الأفواج تدعو الناس للصلاة والعودة إلى تعمير بيوت الله، آلاف من المبلغين يجوبون كل بقاع مصر، كل المحافظات بل كل القرى.

امتألت الشوارع بالمبلغين الذين كانوا إذا دخلوا شارعاً ضموا معظم شبابه، وبدأ اسم (ليزا) يتردد مرة أخرى، ليس أميراً لجماعة التبليغ والدعوة فى إمبابة وحدها، ولكن فى مصر كلها.

انزعجت الداخلية من نجاح التجربة، مع أنها كانت مرحبة ومشجعة للجماعة منذ البداية، فكل المؤشرات تؤكد تراجع الجريمة وتجارة المخدرات بعدما اجتذبت الجماعة معظم الشباب الذين وجدوا مشروعاً كبيراً ينتسبون له، ويثبتون عبره أنهم رجال.

هذه التجمعات الكبيرة مع أنها سلمية، وتحرم الخروج على الحاكم إلا أنها ألقت الرعب فى قلب النظام، الذى رأى أن مجرد التجمع بهذه الأعداد يمثل خطراً على وجوده.

صدر الأمر باعتقال (ليزا) الصغير، ولكن من لديه القدرة على القبض على الأمير المحبوب الذى لم يغضب الله ورسوله، ولا أصحابه ولا النظام، ولم يحرض يوماً على

العنف، وهل تستطيع الشرطة أن تظلمه كما ظلمت والده وهذه الآلاف من الشباب المتحمس يعتبرونه قدوة، وأميراً صاحب رؤية وهمة عالية؟!

الأمير الصغير يسلم نفسه خوفاً على الدعوة، فقد رأى أن يئد الفتنة، لأن القوات إذا جاءت قد تعتقل المزيد من الشباب، وقد يسقط قتلى وجرحى.

ورغم أن أمه حاولت أن تمنعه قائلة:

— هيغدرُوا بيك زى ماغدرُوا بأبوك، حرام عليك يا ابنى، تروح لهم برجليك؟! دا لسة نار أبوك فى قلبى ما بردتش، لا عارفة ميت ولا حى، بقالى خمستاشر سنة فى عذاب، كان نفسى أعرف له طريق، كان نفسى يسلمونى جثثة حتى، أو يشاوروا لى على قبر ويقولوا لى إنه مدفون هنا، أوعى تروح يا محمد.

إلا أنه طمأنها:

— ما تخافيش يا أمى، أنا هاتكلم معاهم، وأطمئنهم، ولما يتأكدوا إن إحنا مالناش فى السياسة هارجع إن شاء الله، لازم أروح وأسلم نفسى، لو جم هنا هتحصل مجزرة، الناس هنا بيكرهوا الحكومة، ولو الشرطة دخلت مفيش واحد هيطلع على رجليه.

— (وهى تبكى) حاسة إنى مش هاشوفك تانى يا ابنى.

— قل لن يصيبنا إلا ماكتب الله لنا.

ذهب محمد بمفرده، وسلم نفسه فى قسم إمبابة، بينما ظلت أمه أمام القسم مع بعض سكان سور الصنايع والمقربين، وعلى رأسهم أشرف سعد وأحمد قيادة صديقا والده .

مرت خمس ساعات ولم ينزل محمد من القسم، فطلبت أمل من قيادة أن يذهب ويسأل عنه، هل سيخرج الليلة أم سيتم عرضه على النيابة غداً، ولكنه عاد إليها قائلاً :

— بيقولوا مفيش حد بالاسم ده.

صرخت (أمل): حرام عليكم، مش كفاية أبوه، عاوزين تاخدوه هو كمان ؟! .

قال لها أشرف سعد وهو يمنعها من التقدم نحو القسم :

— اركبى العربية انتِ وروحي واحنا هنتصرف.

ركبت أمل سيارة أحمد قيادة الذى رجع بها إلى بيتها ثم عاد لأشرف قائلاً :

— هنعمل إيه ؟

— بص، لو ما طلعتش لحد بكرة يبقى هما جابوه لنفسهم.

— هنعمل إيه يا أشرف ؟

- بكره التلات ، نخلى لقاء الثلاثاء هنا قدام قسم إمبابة ،
دا لو المشايخ عرفوا هيخربوها ، دول ييجوا مليون واحد.
- دى هتبقى مجزرة ، ويبقى يوم أسود يوم فى حياتهم.
- وتبقى أسود سنة شفوها ، والكورة فى ملعبهم وهما اللى
هيختاروا.

انتشر الخبر، فجاء الشباب من شتى المناطق رافعين لافتات
كُتب عليها: «أطلقوا سراح المعتقلين» «إطلقوا سراح (ليزا)».

تجمع الآلاف حول قسم إمبابة، فخرج المأمور وأمهل
المعتصمين عشر دقائق، يتركون فيها أماكنهم، ويعودون إلى
منزلهم، ومن يبقى بعد هذه المهلة إما سيعتقل أو سيقتل،
مؤكداً عدم وجود معتقلين فى القسم، وعدم وجود أى
شخص اسمه (محمد ليذا).

قبل أن تنتهى المهلة فتحت قوات الأمن المركزى المياه،
جرح الكثيرون، واعتقل بعضهم، ولاذ البعض بالفرار.

الحرية

اشتعل الموقف بعد سقوط الضحايا، بكى سور الصنايع ولم يتحمل كثرة الأسماء التى يسبقها لقب شهيد، والتى كتبت عليه بالدموع والدماء فبات حزناً، خيم الحزن على الجميع، مما سهل مهمة أشرف الذى رأى أن الحل الوحيد لعودة الأمير الصغير هو اعتصام رفاقه أمام قسم إمبابة. استجاب المبلغون الذين وصلتهم دعوة أشرف فتجمعوا أمام القسم للمطالبة بفك أسر (ليزا)، وبمحكمة كل من قتل الشباب، فتحول قسم إمبابة إلى نقطة سوداء يحيطها سحاب أبيض كثيف.

— الحق يا افندم الأهالى محاطين القسم

قالها (البلوكامين حسين الجندى) للمأمور الذى هروا إلى النافذة ليشاهد المنظر قائلاً :

— اتصلوا بالمديرية، عاوزين قوات إضافية لحماية القسم، لو أى حد حاول اقتحام القسم اضربوه بالنار.

حالة استنفار كامل داخل القسم، وذعر من هذا المشهد المهيّب الذى لم يحدث من قبل، ولم يرد على الأذهان أنه يمكن أن يحدث فى يوم من الأيام، الأعداد فى تزايد مستمر، وكلما زادت الناس، زادت الشجاعة والإصرار لدى المعتصمين على تحقيق الهدف .

أغلقت جميع الشوارع المحيطة بالقسم، فقد افترشها أنصار (ليزا) فتحولت إلى مسجد كبير قبلته القسم، والجميع يهتف هتافاً واحداً : (ليزا .. ليزا).

حسين الجندى : أنا مش مصدق يا افندم، إزاي دا يحصل؟! دا الناس دول بتوع ربنا، مالهمش فى الكلام دا خلاص!

المأمور : احنا كلمنا الوزارة ومستنيين الأوامر، طول ما هما سلميين ماحدش يتعامل معاهم، لكن لو حاولوا اقتحام القسم ..الضرب فى المليان، كل دا عشان الواد الصغير دا، هو عمل إيه بالظبط ؟

حسين : إرهابى ياريس، وجايله ضبط وإحضار من أمن الدولة.

— عمل إيه يعنى ؟

قالها المأمور بانفعال.

الأصوات تعلو، والهتافات تزداد قوة، الجميع ينتظرون خروج الأمير الصغير .

— يا افندم يا افندم، القوات اللى جايه من المديرية مش قادرة توصل، الناس مالية الشوارع، الكورنيش كله لغاية ميدان الكيت كات مليون ناس، كلهم لابسين جلايب بيضا، وفارشين سجاد على الأرض وجرانين، وقاعدين يهتفوا ضد الحكومة.

المأمور: أنا لازم أكلم الوزير، هات الموبايل.

— حاضر يا افندم .

ألو، صباح الخير يا افندم .

الوزير : هيبجى منين الخير؟

— احنا مستنيين الأوامر يا افندم .

— بقى قسم طويل عريض مش قادر يفرض مظاهرة زى دى.

— لا يا افندم دا اعتصام كبير، حوالى مليون واحد على الأقل محاطين القسم.

— مسلحين؟

— لا يا افندم.

— إيه طلباتهم؟

الإفراج عن شاب معتقل اسمه ليزا.

— هو عمل إيه؟

— مجمع الناس حواليه، هو لغاية دى الوقت ماعملش حاجة، بس خطورته بتزيد كل ما الناس بتكثر حواليه، والله يا افندم احنا نفذنا أمر الضبط والإحضار الصادر من نيابة أمن الدولة.

— أنا هالكلم سيادة الرئيس، وأقول لك هنعمل إيه بالضبط، ولحد دا مايحصل على الجميع ضبط النفس، وكفاية المصيبة اللى انتوا عملتوها وهيجتوا الناس علينا.

كان أشرف سعد و(أحمد قيادة) الأكثر وضوحاً فى الاعتصام، لأنهما يختلفان فى المظهر والثياب عن باقى المعتصمين ويقودان الهتاف بحماس.

— أنا متأكد إن ليزا الصغير هيطلع قبل المغرب إن شاء الله، تراهن على كدا؟

— تراهن إيه يخرب بيتك ! دا لو المشايخ سمعوك هيقيموا عليك الحد، وبعدين إيه اللى مخليك متأكد قوى كدا؟!

— الحكومة تقدر على خمسين، ستين واحد فى خناقة كبيرة، لكن الآلاف .. لأ، مش ممكن، ودول مش آلاف، دول أكثر من مليون ومعاهم الحق.

— الله يمسيك بالخير يا (ليزا)، أو يرحمك لو كنت مت،
ابنك بقى متصيت أكثر منك وحواليه الملايين.

موبايل المأمور ين :

— ألو، أفندم ياسيادة الوزير.

— اتكلموا مع الناس، وفهموهم إن مافيش حاجة، الموضوع
خلص، كان كله مجرد اشتباه، والتحقيق أثبت إن
الشيخ برئ، وهيخرج بعد ساعة.

— ونخرجه فعلا يامعالى الباشا؟

— أيوه، مدام ماعملش حاجة هنجزه عندنا ليه؟!

خرج المأمور من القسم ووقف أمام البوابة الرئيسية
متحدثا للمعتصمين بواسطة ميكروفون :

— أحب أبشركم إن الشيخ تم التحقيق معاه، وهو زى الفل،
وخارج بعد ساعة.

— الله اكبر الله اكبر .

اشتعل الشارع بالتكبير والبهجة.

— أرجوكم افتحوا الطريق للعربيات والناس، اتوكلوا على
الله والشيخ هيجصلكم.

— الله اكبر الله اكبر .

التهتاف يرح القسم : (عاوزين ليزا .. عاوزين ليزا)

رفض المعتصمون العودة إلى منازلهم إلا بالأمير الصغير،
الذى أصبح رمزاً دينياً ووطنياً ومثلاً أعلى لشباب إمبابة،
فقرر المأمور الإفراج عنه فوراً لتجنب المزيد من الضغوط .

خرج (ليزا) فهتف الناس :

— الله اكبر، يحيا الأمير، يحيا الأمير.

تقدم أشرف وقيادة ومعهما (أمل) أم الأمير، التى تقدمت
وكانها فى حالة من عدم الإدراك لا تضحك ولا تبكى، ولا
يبدو عليها أى رد فعل فأخذها ولدها فى حضنه فقالت :

— انت هتمشى وتسيب أبوك عندهم ؟!

وصرخت :

— بقالى خمستاشر سنة مستتية اليوم دا، الناس معانا
النهاردة ياابنى، مش هنمشى من هنا إلا ومعانا أبوك،
اللى مافيش فى الدنيا دى واحد زيه.

ليزا الابن :

— عندك حق يا أمى.

والتفت إلى المأمور :

— احنا مش هنمشى من غير أبويا.

ونادى فى الناس :

— لو كنتم جيتوا النهاردة عشان تخرجوا (ليزا) من الأسر
فأنا مش (ليزا) أنا حنة صغيرة منه ، لكن (ليزا) لسه
عندهم .

صرخ الناس :

— عاوزين ليزا، عاوزين ليزا.

عاد المأمور إلى مكتبه داخل القسم مذعوراً، يبحث عن
الموبايل - وهو أمامه - كى يكلم الوزير ليطلعه على آخر
التطورات :

— الموقف تأزم يا افندم، نعمل إيه معاليك؟

— خرجوا الولد اللى هما عاوزينه.

— حصل يا افندم، ومش عاوزين يمشوا إلا لما أبوه كمان
يخرج .

— أبوه ؟! أبو مين ؟!

— أبو (ليزا) ، اسمه (محمد ليزا) برضه .

— خرجوه هو وأبوه وخلصونا من الحكاية دى ، دا سيادة
الرئيس قلقان قوى ، وخايف لتكون ثورة كبيرة .

- ثورة إيه يا افندم، مافيش الكلام دا، بس المشكلة دى مش عندنا، أبوه معتقل من خمستاشر سنة .
- حاولوا تمشوا الناس، أو على الأقل تظمنوهم إن الداخلية هتخلى سبيله، ولكن الموضوع دا هياخد له كام يوم.
- تمام يا افندم .

خرج مأمور القسم للمعتصمين قائلاً : إجراءات الإفراج عن الشيخ بتتم دى الوقت، بس هتاخد كام يوم، اتوكلوا على الله، وأنا أوعدكم خلال ثلاث أيام هيخرج لكم الشيخ محمد ليزا، فاشتعل الاعتصام وعلت الهتافات : (مش هنمشى، مش هنمشى).

أمل تصرخ : يعنى هو حى ؟

قيادة : مدام قال هيخرج بعد ثلاث أيام يبقى حى يا (أم ليزا) .

ليزا الابن : أبوى حى، الحمدلله .

أشرف : لازم نشوفه بعينينا، ممكن يكون دا حوار، عشان يمشونا، عاود الهتاف : مش هنمشى .. مش هنمشى .

قرر المعتصمون أن يستمروا فى اعتصامهم حتى يخرج أميرهم المحبوب (ليزا) الأب بعدما فرحوا بخروج الابن .

بدأ المعتصمون بنصب المخيمات استعداداً للنوم، وفتح كل المساجد المحيطة واستخدامها فى الإقامة والإعاشة مصرين على عدم مغادرة الاعتصام، كل القنوات الفضائية تنقل الحدث، والتليفزيون المصرى يستقبل مكالمات من ساكنى المنطقة المحيطة بالقسم، وينقل صوراً حية من الاعتصام الذى تخطى عدد المشاركين فيه المليون.

- ياترى ممكن أبوك يرجع لنا تانى، ونعيش مع بعض .
- إن الله على كل شئ قدير، مش قلت لك يا أمى لعله خير، اعتقالى هيكون سبب فى خروج والدى إن شاء الله .
- أمل : ياريت يا ابنى.

التهنئات تعلقو :

- الله اكبر الله اكبر
- قيادة : التليفزيون يبذيع بيان الرئاسة بالإفراج الفورى عن (ليزا)، وهو دى الوقت قدام مديرية أمن الجيزة.
- أمل وهى تضحك رغم الدموع الغزيرة التى تسكن عينيها :
- احلف.

قيادة : والله زى ما باقول لك كدا، ليزا فى التليفزيون والناس شايفاه .

المعتصمون يهتفون :

— الله اكبر الله اكبر.

أشرف : الرئيس عزل وزير الداخلية وحوله لمحاكمة عسكرية .
هتف الجميع : يحيا العدل .. يحيا العدل .
قيادات الداخلية تتابع بيان الرئاسة من خلال الشاشات
منقسمين بين مؤيد ومعارض.
اللواء معتز : أكيد الراجل دا اتجنن.

اللواء سيف : بالعكس دا فاق ، الرئيس اتصرف بحكمة ، كدا
أحسن ولا تقوم ثورة فى مصر كلها زى ما حصل فى دول ثانية ؟
اللواء معتز : مصر ضاعت وهيببتها انتهت.

التليفزيون يعلن عن رئاسة الجمهورية بأنه تم تعيين
اللواء (سيف) وزيراً للداخلية لما يتمتع به من جماهيرية
وقبول شعبى ، ويؤكد أن رئاسة الجمهورية حريصة على
تنفيذ رغبات الشعب وتحقيق آماله والجماهير تهتف فرحاً :
— الله أكبر يحيا العدل.

تمت

أغسطس ٢٠١٦

السيرة الذاتية

عماد سالم

- شاعر وروائى مصرى من مواليد قرية العلاقمة مركز ههيا محافظة الشرقية سنة ١٩٦٩ .
- درس بكلية الحقوق جامعة القاهرة .
- عمل بالصحافة و أسس جريدة شمس النهار وتولى رئاسة مجلس إدارتها ٢٠١٢ .
- عمل فى الطباعة والنشر وأسس مؤسسة يسطرون للنشر وتولى رئاسة مجلس إدارتها ٢٠١٢ .
- ساهم فى الحركة الثقافية المصرية فأسس جماعة النيل الأدبية ٢٠٠٨ .

- عضو اتحاد كتاب مصر .
- عضو المنتدى الثقافى المصرى .
- عضو جمعية دار الأدباء .

أهم الإصدارات :

- تلغراف (شعر ٢٠٠٦)
- غيطان الليل، أغانى مصرية (٢٠٠٨)
- الحب فى ميدان التحرير (شعر ٢٠١١)
- أسرار مريد (شعر ٢٠١٣)
- مركب أفكار (شعر ٢٠١٥)
- آخر محطة للوطن (مقالات ٢٠١٦)
- إنسان ملاك (مسرحية شعرية ٢٠١٦)

تحت الطبع

— بيت أبو خشبة رواية.

